مغامرات

أرسين لوبين

المنقذ

٥٠ مليماً

الفصل السابع عشر (١)

وفى تلك الأمسية جلس لوبين يتناول الطعـــام مـع خادمه ليفنجستـون .

وكان لوبين يدرك نبأ غنيمة ديلكوت التى استولى عليها قد بلغ (المعارضة) · وانها ستنشط للعمل فورا ·· ومن ثم توقع حدوث هجوم عاجل فى نفس الليلة .

وصرف لوبين خادمه ·· ثم انتقل الى غــرفة الجلوس ·· وجلس فيها يدخن وهو مستغرق فى التفكير .

وفى هذه اللحظة كانت بريمروز تتحدث فى تليفونهـا السرى كانت تقول : ان هذا الشيطان بعينـــه .. فاذا افلت منا مرة اخرى ، فعلى الجميع السلام ·· لقــــد حضر فى سيارة .. وغرفة متحركة ، وكلتاهما مصفحتان ·· واحسب اننى اعرف السـبب الذى حمله على العـودة الى باردلاو .. فاذا كنت على صواب فى استنتاجى فاكبر ظنى ان خطتى ستتم بنجاح ·

فقال محدثها : لست ارى سبيلا الى فشلها .

فاردفت الفتاة باقتضاب : كل خطة قابلة للفشـــل ·· لكن تذكر انه ينبغى اولا ان ترغم لوبين عـلى التصريح بالمكان الذى اودعه الغنيمتين ، وتذكر ايضا انه ينبغى الا تلمح بان لى ضلعا فى المكيدة ·

وبعد عشر دقـائق غادرت بريمروز القصر من باب جانبى وكان الليل قد انتصف .. فانطلقت الى معسكر لوبين غير منتبهه الى الشبح الاسود الذى كان يتبعها عن كثب ·

ولم يكن هذا الشبح غير باتريشيا هولم .

---

(١) اقرأ بداية هذه الرواية فى العـــدد الماضى وعنوانه « المعجزة » ··

كانت الفتاة قد عولت على مراقبة بريمروز بعــد ان عرفت من امرها ما هالها .. فلما رأتها تغادر القصر خلسة بعد منتصف الليل ، ساورتها الهواجس والظنون ، فتعقبتها فى التو .

وفى هذه الاثناء سمع لوبين ساعة الكنيـسة تدق النصف فتثاءب ·· والقى ببقية لفافته من النافذة ·· وتهيأ للنـــوم ولكنه سمع قرعا على الباب . فانحسر عنه الخمول ، وحل محله النشاط ·· ثم تقدم من الباب ·· وفتــح كوة فيه . وعندئذ القى نفسه وجها لوجه امام بريمروز ·· . كانت عيناها تفصحان عن أبلغ معانى الفزع ·· وسمعها تهيب به فى ضراعـــة .

ـ ارجوك ان ترافقنى ..

وركض قلب لوبين بين جنبيه .. ولكنه لم يشأ ان يتخلى من اسباب الحذر .. فأخرج مسدسه . وحمله باحدى يديه . ثم فتح الباب باليد الاخرى . وخرج من الغرفة . واغلق بابهـــا خلفه .

وتعلقت بريمروز بذراعه . وهمست : اوه ! كلا .. هلم بنا الى الاشجار حيث يشتد الظلام ·· ولا يستطيع أحــد ان يرانا . لقد جئت لاتحـــدث اليك ، لاننى شديدة الخوف . !

واسكرته الرائحة الذكية التى تفوح من شـعرها · . ولكنه كان منتبها الى نقطة مظلمة كانت على مقربة ! .

وعلى كثب منهما تبعتهما باتريشيا هولم ببطء وحــذر شديد ، وهى تحرص على الا يغيبا عن عينيها .

وكانا قد اوغلا فى سيرهما . فقال لوبين : الا تعتقدين ان فى عملك هذا تهورا غير محمود يا آنسة . فلو رآك احد وانت مقبلة الى معسكرى لاساء ذلك الى سمعتك ·

فاجابت بلهفة : ارجوك الا تخاطبني بهذه اللهجة ، فانه لا خطر على البتة .. فجميع اهل القرية نيام في تلك اللحظة ثم انني جئت اليك في امر خطير . فانني اتوقع خطرا عاجلا ولا استطيع ان احدد نوعه . ولكنى لم استطع ايضا ان انام ! قبل ان احذرك .

ـ يا للعجب ! لقد انقلبت الآية .. فبعد ان كنت اقوم على حمايتك . جئت انت لتحذيري .

فانتفضت .. والتصقت به . وقالت بلهجة تشف عن الخوف الشديد :

ـ لا اريد ان تموت . . لقد قتل روبر المسكين . . واعقبه مستر سانجلى . . و . . و . انى اعتقد ان لابى ضلعا في هذه المآسي المروعة . ولكنى كلما استفسرت منه ارغى وازبد .. ونهرنى قائلا اننى اتحدث كالاطفال . يا الهى ! لست اعلم ماذا اصنع ؟ !

وبدأت الرائحة الذكية تحدث اثرها في عقل لوبين .. فاحس باختناق تدريجى .. وتجرد من قدرته على تمالك نفسه . فضم الفتاة الى صدره . وقبلها فوق شفتيها .

وتمتمت باتريشيا هولم وهى في مخبئها : يا للمغفل !

وفجأة رأت باتريشا عدة اشباح تطبق على لوبين وبريمروز . ولم تتمالك من الاعجاب ببراعة المرأة الجهنمية وقدرتها التى لا تبارى على رسم الخطط المحبوكة الاطراف .

ولم تجد باتريشيا مفرا من التزام الصمت ، فاخذت ترقب ما يحدث بلهفة وانزعاج .

وثب القادمون فوق لوبين من الخلف .. وجذبه اثنان منهما بعنف . بينما قبض آخران على بريمروز .. ووضع احدهما يده فوق فمها عندما حاولت ان تصيح مستنجدة

حدث كل هذا في هدوء وسرعة تبعث على الاعجاب .. فلم يسمع ماندفيل ليفنستون الذى كان نائما على مقربة شيئا ما ..

وراح لوبين يقاتل مهاجميه بجنون وبأس .. ولكن اثر الرائحة المخدرة كان شديدا .. فاخذت حواسه تفارقه تدريجيا ، وشعر بشيء اشبه بالكيس يوضع فوق رأسه ، اعقبه حفيف شديد ، جعله يعتقد ان مهاجميه استعملوا غازا مخدرا في سلبه كل قدرة على الدفاع .

وبعد لحظات معدودات كان لوبين يهوى الى الارض فاقد الحواس .

وعندما عاد اليه شعوره .. لم يجد اثرا لجهاز التخدير! ونمت الى مسامعه عدة اصوات قريبة ، وانتظم تفكيره ، فتلفت حوله والفى نفسه جالسا في غرفة نصف متهدمة ، وفى التو ادرك ان (المعارضة) قد نقلته الى الطاحون المهدم الذى يملكه السير هيستنجس .

وسمع صوتا يقول صاحبه : شدوا وثاقه ، فانه يوشك ان يستعيد حواسه ..

فقال الآخر : وماذا نصنع بالفتاة ؟ .

فاجاب صاحب الصوت الاول بضجر : لسنا بحاجة اليها فضعها في غرفة المخزن ، واغلق الباب عليها ، وسننظر في امرها فيما بعد ؛ اذ ينبغى ان نضع حدا للوبين في التو واللحظة .. ثم لا تنس ان الفتاة على جمال مفرط .

ولم يخف معنى هذه الكلمات على لوبين ، فحاول ان يلطم الرجل فوق وجهه ، ولكن سرعان ما اكتشف انه موثق اليدين ..

فتأوه ولعن نفسه لانه لم يلزم جانب الحرص .

وسمع صوتا صادرا من قرب .. فرفع رأسه .. ونظر

امامه ، فرای شبحا يحمل بريموز بين يديه ، ويلج بها بابا ثم سمع صوت ارتطام ، فادرك ان الشبح قد القى بحمله فوق الأرض ، فغلى الدم فى عروقه ، ولكنه كتم غيظه وسكت على مضض .

وجذب رجلان لوبين بعنف . . وسارا به فى دهليز معتم . . فحاول ان يتحرك ، ولكنه فشل . . وما لبث ان تبين انه ممدد فوق لوح من الخشب . . وقد شد وثاقه باحكام .

وغمغم رجل : حسنا . ضعوه هنا . ثم احضروا ضوءا

ورفع الرجلان اللوح ، ووضعوه فوق منصة من الحجر واقبل رجل ثالث يحمل مصباحا ورای لوبين على ضوئه حجرا هائلا يكاد يلاصق راسه

واقترب سجانوه منه . وكانوا جميعا مقنعين . . فلم يستطع ان يتبين غير عيونهم وكانت تتقد بنار الغضب والحقد .

فابتسم وقال : لا ريب ان مظهركم مخيف ايها الاخوان ولكني اؤكد لكم انني لم اتاثر قط .

فقال صوت صارم : صه يالوبين . ينبغى ان تتكلم . . بل ستتكلم رغما عنك ، وتخبرنا ماذا صنعت بفتشمنى فندق سوبريم والليدى ديلكوت . ومن الخير لك ان تفهم اننا مصممون على معرفة الحقيقة .

فقاطعه لوبين : والا فالويل لى بالطبع ؟ ما الذى ستلجأون اليه فى تعذيبى ؟ . . اؤكد لك ان حجر الطاحون الهائل الذى يجثم فوق راسي لا يروقنى منظره . ولكنه لا يخيفنى بحال .

فصاح محدثه : انك فولاذى الاعصاب . اليس كذلك ؟ لكن ثق ان النهاية قد دنت ، الا اذا اعترفت ! ان ثقل

الحجر لا يقل عن طن ، فاذا لم تتكلم .

فغمغم لوبين ساخرا : كفى بالله عليك ! لا تطل تعذيبى ! يخيل الى ان خطتكم تنحصر فى انه اذا لم اتكلم . . ادرتم الآله المحركة لهذا الحجر الهائل . . فيهوى فوق جمجمتى فيهشمها ثم يحطم جسمى حتى يختلط لحمى ودمى بمسحوق عظامى . . حسنا يا صديقى القصاب . . افعل ما شئت . . ولكن ثق انني لن انزل على ارادتك .

ـ ايها الاحمق ! يبدو انك لا تقدر خطورة موقفك ! حسنا سوف نرى . . فلست اول من عالجته بمثل هذه الوسيلة .

واشار باحدى يديه لاحد رفاقه ، فانطلق مبتعدا .

ومع ان لوبين ظل محتفظا بهدوئه الظاهرى ، الا ان عاصفة من الخوف اجتاحته ، فالهبت عقله وقلبه معا .

وصاح محدثه : امامك دقيقة تحزم فيها امرك !

وسرى الخوف الى قلب لوبين عندما سمع صوت الحجر وهو ينزلق الى اسفل ببطء شديد حتى لامس راسه وضغطه قليلا .

وكان باقى الرجال قد انصرفوا ، ولم يبق غير الرجل الذى كان يتحدث الى لوبين فصاح : حسنا ! هل ستتكلم

فاجاب لوبين بهدوء عجيب : عندما يحطم هذا الحجر راسي ، سانفجر !! يا صديقى البائس اذا كنت تعتقد ان هذه الخدعة ستجوز على .

فصاح الرجل بحدة : ليس فى الامر خدعة ، ولا شبه خدعة ، انى انفذ الأوامر التى صدرت الى بالدقة ، فاذ لم تتكلم فساسحق راسك سحقا . . ولم يبق امامك غير عشرين ثانية . .

ورای لوبين شبحا نحيلا يتسلل خلف الرجل ، لم

يهوى فوق رأسه بقطعة كبيرة من الصخر .. فترنح وسقط على الأرض فاقد الوعي ، ثم اطفىء المصباح وساد الظلام

ولم يستطع لوبين أن يميز ملامح منقذه ، ولكنه سمع حفيف ثوب نسائي ، ورأى نصل مدية يتألق في الظلام ، ثم احس بوثاقه يقطع فقال بانشراح : شكرا لك ايتها الحسناء ! .

ونهض من تحت الحجر الهائل في وثبة سريعة ثم اخرج (ولاعته) الاوتوماتيكية واضاءها ، ولكنه الفى نفسه وحيدا مع الرجل الغائب عن وعيه . ذلك ان باتريشيا هولم كانت قد بادرت بمغادرة المكان قبل ان يراها لوبين ، او احد الأعداء .

.. كانت تعلم ان لوبين يستطيع ان يدافع عن نفسه وهو مطلق السراح ..

والواقع ان لوبين لم يضيع لحظة في هذه الغرفة المخيفة ، واسرع بالخروج من الباب وركض في الدهليز ولكنه لم يلبث ان توقف في مكانه .. فقد فتح احد الابواب بغتة . وانبعث منه ضوء قوي . ..

وخرجت بربعروز من الغرفة .. وما كادت تراه حتى فر لونها . وجمدت في مكانها كالتمثال .

ولما كان الضوء صادرا من خلف الفتاة . فان لوبين لم يستطع ان يرى آثار الفزع والحقد التي ارتسمت على وجهها . وفقط كان يذكر ان منقذته كانت فتاة . فما كاد يرى بربعروز حتى تبادر الى ذهنه انها منقذته .

وحملها بين يديه بغتة .. ومضى يركض حتى بلغ الواجهة .. فاذا به في العراء .

وقهقه ضاحكا . وقال : لقد كان رائعا يا فتاتي . ما هذا الذي فعلت به زعيم الجناة ؟ .. التي لم استطع ان ارى

شيئا لأنك اطفأت المصباح فجأة . وعلى فكرة كيف استطعت الهرب ؟

ولم تكن بربعروز سقيمة التفكير . ومع انها لم تعرف كيف نجا لوبين . الا انها فطنت الى ان شخصا مجهولا قد خف لانقاذه ، وان هذا الشخص فتاة ! وما دام يعتقد انها هي التي انقذته .. فهل هناك من حل آخر افضل من هذا لورطتها ؟

همست بصوت يفيض رقة وعذوبة : كانوا مهملين . انني فتاة ، وقد ظنوا الا خطر من ناحيتي . وقد وجدت الباب العتيق محطما ، ففتحته .. وسمعت صوت الحجر الضخم . فزحفت صوبه ..

وكفت عن الكلام وهي تتظاهر بالجزع . ثم ابتعدت عنه بغتة . واطلقت ساقيها للريح وهرول لوبين في أثرها ولكنه لم يستطع اللحاق بها .. فعاد ادراجه الى معسكره المصفح .

الفصل الثامن عشر

جلس لوبين يتناول طعام الافطار في صباح اليوم التالي وكانت حرارة الشمس شديدة في هذا الصباح ، حتى ارتفعت حرارة الغرفة المصفحة ، ولذلك كانت دهشته بالغة عندما اراد ان يقطع جزءا من قرص الزبد . فاذا بالمدية تصطدم بشيء صلب .

وخشي لوبين ان يكون بالقرص مفرقع . او ان يكون اعداؤه قد دسوا له شيئا في الزبد ، فجذب الطبق نحوه . وتأمله اولا . ثم شرع يفحصه بحرص شديد ، وما لبث ان عثر على قصاصة من الورقة . فالتقطها من الزبد ، ونشرها بهدوء ، وقرأ فيها العبارة التالية مكتوبة بحروف كبيرة :

« ان بريمروز جميلة تنبعث من شعرها رائحة ذكية .. ولكنها حية رقطاء .. بل شيطان من شياطين جهنم » .

وتألقت عينا لوبين ببريق ينم عن الادراك . ومال الى الخلف في مقعده ، واشعل لفافة تبغ .. وراح يفكر .

كانت الرسالة واضحة كل الوضوح . فهي تحذير صريح له من ناحية بريمروز تريفور !.

بل ادهى من ذلك وامر .. ان شبه الكاتب بريمروز باحد شياطين جهنم .

واغلق لوبين عينيه . فتراءت امامه صورة الفتاة بوجهها الملائكي ، وملاحتها الساحرة .. ونظراتها التي تنم عن الضراعة والابتهال ..

والقى بلفافة التبغ من النافذة .. ثم نادى ليفنجستون وسأله :

ـ اخبرني ياماندي .. من اين حصلت على هذا الزبد ؟

فرفع الخادم حاجبيه دهشة . واجاب : من مزرعة قريبة ياسيدى .

فأومأ لوبين براسه وقال : ان هذه المزرعة ملك (لصديقنا العزيز) السير هيستنجس تريفور .. الحق ان ثمة مسألة معقدة لا استطيع ان افهمها ياماندفيل .

فقال الخادم بسخرية : صديقنا العزيز ! يا الهي ! انك تعلم تماما ان هذا السفاك حاول مرارا ان يفتك بك .

فابتسم لوبين واجاب : انها زلة لسان ياماندى . ولكن كيف حصلت على الزبد ؟ هل اعطى لك باليد . او .

ـ كلا يا سيدى .. كانت هناك اقراص كثيرة موضوعة فوق لوح خشبي في المزرعة . فالتقطت هذا القرص لانه كان ملفوفا في ورق جميل ، وقد اعطته لى زوجة الفلاح

هيجستون ، فنقدتها الثمن ، وجئت به » .

ـ فكر جيدا ياماندى ، الم يتفق ان توقفت فى الطريق وتحدثت الى شخص . فحدث شيء ما للزبد مثلا ؟ .

ـ يا لله يا سيدي .. ان لك لبصيرة ثاقبة .

ـ لا .. اني فقط اخمن . حدثني بما وقع لك بالدقة .

فقال الخادم : الواقع انني اصطدمت بفتاة كانت تركض عبر الحقل .. وتناديني .

آه ! اكانت دميمة الخلقة ؟

ـ كلا يا سيدي .. بارعة الجمال .

ـ ارايت الآنسة بريمروز من قبل ؟

ـ ولكنها لم تكن هى التي قابلتني ، واحسب انها احدى وصيفاتها او خادماتها المقربات لأن سمات العظمة كانت تبدو على وجهها .. كما افصحت عنها شدة اناقتها

فتطلع لوبين الى خادمه فى دهشة .. وغمغم : انك تدهشني يا ماندفيل .. فما كنت اعتقد ان لك مثل هذه الفصاحة وهذا الذوق .. ولذا فلم يخطر ببالي ان فتيات القرية يتسابقن الى نيل رضاك .. حسنا .. استمر في قصتك

ـ استوقفتني الفتاة . والقت على بضعة اسئلة عن سيارتك المصفحة .. فلم تكن هي الاولى التي فعلت ذلك .. فقد امطرني اغلب سكان القرية باسئلة مماثلة

ـ وما هى الاسئلة التي القتها عليك بالدقة ؟

ـ كانت جميعها تنصب عليك يا سيدى .. وقد سألتني ان كنت ستطيل اقامتك هنا ام تزمع الرحيل العاجل .. وخيل الى انها كانت شديدة اللهفة على معرفة حركاتك وسكناتك .. وكأنما كانت قلقة من تحوك .. ولكنها ما لبثت ان انفجرت ضاحكة فحسبت نفسي واهما في ظنوني

ـ وماذا حدث للزبد ؟

ـ كانت الفتاة تقول ان اسمها مارى ستيفنز عندما دقت ساعة الكنيسة النصف .. فانتفضت .. وقالت ان الطباخ يسىء اليها لتلكؤها فى العودة .. وبينما كانت تهرول مبتعدة اصطدمت بى ، واسقطت السلة من يدى

فاتم له لوبين عبارته قائلا : وقد اعتذرت لك الفتاة طبعا .. وساعدتك على جمع ما تفرق ولا ريب انها كانت تحمل سلة بدورها وكان بالسلة قرص من الزبد .. فاستطاعت أن تستبدل قرصها بذلك الذى معك وانت تحاول ان تجمع ما بقى سليما من البيض

فحك ليفنجستون ذقنه ونظر اليه ببلاهة .. واستغرق لوبين فى التفكير

ادرك ان مارى ستيفنز هذه تعمدت مقابلة ليفنجستون بعد ان عرفت مقدما انه يبتاع الزبد من المزرعة .. فاعدت قرصا من الزبد وضعت فيه هذه الرسالة الغريبة .. وانتهزت اول فرصة سنحت لها .. فاستبدلت هذا القرص بما كان مع ما ندفيل

لكن اليس من العجيب أن تشي احدى وصيفات بريمروز بسيدتها ؟ !

ورفع لوبين راسه .. ثم قص على خادمه ما وقع اثناء الليل .. قال :

ـ ينبغى ان اعترف لك يا ماندفى انى ارتكبت شططا .. بينما كنت اتحدث الى الآنسة بريمروز فى ساعة متاخرة من الليل بادرت المعارضة بهجوم خاطف ولم تسلم الفتاة من قسوة المعارضة .. ولكنى ايضا مدين لها بحياتى : لأنها انقذتنى من مخالب الوحوش التى هاجمتنى

فقاطعه ليفنجستون قائلا : حسنا يا صديق .. لكن ما الذى حدث بالضبط ؟

ـ الم اقل لك ما حدث ؟ لقد انقذت الحسناء بريمروز حياتى ليلة امس . وفى هذا الصباح عمدت وصيفة مجهولة الى دس رسالة تقول فيها ان بريمروز افعى خطرة .. الا ترى أن الحادثين متناقضان تماما ؟

وقبل ان يجد ماندفيل متسعا من الوقت للتعقيب على قول سيده ، كان لوبين قد نفذ الى غرفته الخاصة .. وارتدى ثيابه .. ثم انطلق الى قصر السير هيستنجس ريفورد .

كان يرمى الى غرضين .. اولهما رؤية الانفعالات التى ستبدو على وجه السير هيستنجس عندما يقف امامه وجها لوجه .. وثانيهما رؤية مارى ستيفنز الغامضة .

ولم يسلك لوبين الطريق الرئيسي . وانما مشى فى طريق منعرج محاولا ان يرى القصر من بقاع مختلفة .

وما كاد ينثنى فى احد الممار الجانبية حتى وقعت عيناه على مشهد ياخذ بمجامع القلوب .

ذلك انه راى سورا يحيط بحديقة غناء ، قد انتثرت الورود النادرة فى ارجائها .. مختلفة الالوان .. متباينة الرائحة .. وفى نهايتها كوخ صغير انيق

ونفذ لوبين الى هذه الحديقة . وسار صوب الكوخ فراى رجلا يميل فوق احدى الورود ويشمها بلذة وشغف .

ومع أن لوبين لم يكن من المهتمين بالورود ، الا انه لم يتمالك من الاعجاب ببعض ما فى الحديقة .. وقال للرجل :

ـ ومتى يا صديقى سيقام معرض الزهور ؟

علق لوبين بهذه العبارة مداعبا .. ولكن اثرها كان ابعد

مما توقع .. ذلك ان الرجل استوى واقفا .. واستدار على عقبيه في حركة خاطفة .. فرأى لوبين امامه كهلا .. يضع عوينات غليظة فوق عينيه .

ولاحظ لوبين ان عيني الكهل تألقتا ببريق يدل على المعرفة ، كما تصلبت عضلاته .. وبدت عليه دلائل الدهشة .

وما لبث الفزع ان حل محل الانفعالات على وجه عاشق الزهور ، ولكنه ما لبث ايضا ان تلاشى في لمح البصر .. وانفرجت شفتاه عن ابتسامة رقيقة ..

وسأله الكهل : هل اعجبتك ورودي ؟ .. انك لن تجد ما يماثلها في كل هذه البقاع .. يقولون انهم في قصر السير هيستنجس انهم يملكون مجموعة نادرة من الزهور .. ولكني اؤكد لك ان مالديهم يزرى بما لديهم .. الست انت صاحب السيارة المصفحة يا سيدي ؟

ـ نعم .. ان اسمي ارسين لوبين .. ولو اني اظن انك سمعت بهذا الاسم قبل الان .

ـ كلا .. لم أسمع به

كان من الحماقة ان ينطق الرجل بهذه الاكذوبة ، لانه لم يكن ممثلا بارعا .. فكشفه لوبين في التو

واخرج لوبين علبة لفائفه .. وقدم واحدة للكهل .. ولكن هذا اعتذر اليه وقال بانه يفضل غليونه .

واخذ لوبين يتساءل : ترى لماذا اضطرب الرجل عند رؤيته .. ولماذا كذب عليه ؟ وان لم يكن قد رآه او عرف بوجوده على ظهر البسيطة من قبل ، فلماذا هذا الجزع والخوف ؟

وقطع عليه هاوي الورد حبل افكاره .. ودعاه الى جولة قصيرة في الحديقة

ولم يهتم لوبين بالورد قدر اهتمامه باصابع الكهل الطويلة الحساسة .. ولكنه تظاهر بالرغبة في الاستطلاع كيلا يثير ريبة الرجل

والقى الرجل على لوبين محاضرة كبيرة في الزهور وانواعها ، فلما تصدع راسه ، استاذن وانطلق الى قصر السير هيستنجس وهو يتساءل : لماذا ذعر هذا الكهل عندما رآه ؟ !

الفصل التاسع عشر

كان السير هيستنجس شديد القلق هذا الصباح .. واما ابنته بريمروز فكانت هادئة جامدة كالطود ..

وجلس الاب وابنته الى مائدة الافطار في صمت .. وتمهل رب الدار حتى انصرفت الوصيفة ماري ستيفنز من الغرفة .. ثم تطلع الى ابنته متسائلا .. فرمقته بنظرة تنطوي على التحدير والوعيد

وتناول الاثنان طعامهما في صمت ، ثم مضى الاب الى غرفة المكتبة .. ولحقت به ابنته بعد قليل .. واغلقت الباب خلفها

وفي التو .. انقلبت سحنتها .. ففارقتها الهدوء والدعة .. وحلت محلها الصرامة والقسوة .

سألت اباها : ما الذي يجول بخاطرك يا ابي ؟

فصاح السير هيستنجس بصوت متهدج : يا الهي ! ابعد كل هذا تسألينني عما يدور بخاطري ؟

واقترب منها وقد كشر عن ناجذيه وانثال العرق فوق جبينه ، ثم سألها :

ـ ماذا حدث ليلة امس ؟ ولماذا فشلت الخطة يحق الشيطان ؟ لقد قلت انك ستتخلصين من لوبين ، ولكني سمعت انه لا يزال حيا يرزق

فاجابته ببرود : لا ضرورة لكل هذا الانفعال يا ابى .. انه من حسن الحظ اننى استطيع ان اكبح جماحك فى الوقت الملائم والا لساورت الريبة رجال البوليس فى امرى منذ امد بعيد

فصاح الرجل فيما يشبه الصراخ : اهذا أوان القاء المحاضرات ؟ انى لست مستعدا لسماع هذه السفسطة الفارغة ! انا لا اغمط ذكاءك وحدة ذهنك .. بل ان بعض وسائلك ترتعد لها فرائصي ! ولكنك تطالبينني ان اتمالك جأشي بينما لا يزال لوبين اللعين حرا طليقا ؟ ..

– نعم ، انه حر طليق ، ولكنه ليس خطرا ، لقد اوقفته عند الحد الذى يروقنى ، فهو يعتقد مؤمنا اننى فتاة تعسة اوقعتنى الظروف السيئة بين طغمة من الاشرار .

واطلقت ضحكة رقيقة ، ثم اردفت : لعمرى ، لقد سرنى ان فشلت خطة الامس ، لأننى اصبحت الان اقوى اثرا وتسلطا على لوبين

– وما جدوى تسلطك عليه ؟ اننى لن اعرف طعم الراحة والاطمئنان حتى يختفى هذا اللعين من عالم الوجود ! انظرى الى ما فعله بنا حتى الآن .. لقد افسد جميع خططنا فيما يتعلق بليفنجستون ، وهو مسئول عن موت سانجل . ثم انه يعرف ان سفنى تستخدم فى نقل الجواهر المسروقة، وفوق هذا لقد ظفر بغنيمتى فندق سوبريم وليدى ديلكوت !

فقالت الفتاة بحذر : سيفضي الينا لوبين بالمكان الذى خبأ فيه الجواهر قبل ان يموت ، لقد سارت الامور فى المجرى المرسوم لها ليلة امس ، ولكنها اتخذت اتجاها عكسيا فى النهاية ، اننى استدرجته الى العراء ، وهناك انقض عليه الرجال ، وخدروه ، وعاملوه بغلظة وعنف

امامه ، ثم حملوه الى الطاحون ، ووضعوه تحت الحجر ، وبدا كراسك يستجوبه وهو مقنع .. بينما انتحيت انا مكانا قصيا انتظر نتيجة الاستجواب . ولكن حدث فى تلك اللحظة ما لم يكن فى الحسبان .. ويقول كراسك ان لوبين رفض ان يتكلم ، فذهب رجلان من اعوانه لادارة الطاحون ، وراح الحجر يهبط فوق راس لوبين . ومع ذلك فقد اصر اللعين على الصمت وفى تلك اللحظة اصيب كراسك بلطمة فوق مؤخر راسه ، وتحطم المصباح

– ولكن من الذى ...

– لا فائدة من السؤال ، لاننا لا نعرف من الذى فعل ذلك .. لقد تسلل شخص ما الى الطاحون ، واطلق سراح لوبين .. وهنا حدثت معجزة يا ابى .. اقبل لوبين متعثرا فى الدهليز ، وما كاد يرانى حتى ظن اننى انقذته من ايدى سجانيه .

– اتعنين انه لم يرتب فى امرك حتى الان ؟

– بل انه لا يرتاب فى على الاطلاق . انه لم ير الشخص الذى انقذه ، كما لم يره احد منا ، ولما كان قد سمع المتخلص منى بعد الفراغ منه . فقد كان اول ما جال بخاطره عندما رآنى فى الدهليز اننى منقذته .

– الم ير كراسك شيئا ؟

– راى النجوم !! انه يعانى من تورم شديد فى مؤخر راسه .

فقال الاب بلهفة : ان هذا يعنى ان شخصا آخر قد تدخل فى الموقف ! واذن فلوبين ليس وحده هنا ... وما دمت تقولين ان ليفنجستون كان نائما اثناء الهجوم ، فلابد اذن ان له مساعد لا نعرف عنه . ولعله احد رجال سكتلانديارد !

اذا كنت عمياء عن الضوء الاحمر يا بنية ، فانى اراه بوضوح . ولعل الوقت مناسب لوضع حد ..

فقاطعته بحدة : كثيراً ما اتساءل يا ابى كيف استطعت ان تحتفظ بحريتك حتى الآن .. ولم تزج فى احد السجون ؟! ..

ـ لا تتكلمى عن السجون ايتها الشيطانة الاثمة !

ـ كفى ثرثرة ! اتظن ان لوبين الرجل الذى يعمل مع سكتلانديارد ؟ انه يعمل دائما منفردا وهو يسعى الحصول على الغنائم مثلنا ، ويأبى ان يتنازل عن جزء منها لغيره .. فاذا استطعت ان تحتفظ برباط جاشك ...

وتوقف عن الكلام .. فقد سمت رنينا مكتوما صادرا من درج المكتب . بينما راح الضوء البرتقالى اللون يومض من احدى المحبرتين .

وفتحت الفتاة الدرج .. ورفعت السماعة .. وعندئذ سمعت صوتا رفيعا يسأل :

ـ اريد ان اعرف ماذا اصنع !

ـ ماذا تعنى بقولك هذا . وما غرضك من الاتصال بى فى مثل هذه الساعة يا بلاين ؟ الا تعلم ان التعليمات ...

فقاطعها محدثها بانفعال : لقد كان لوبين هنا منذ لحظة ولعله كان يتجسس على تحت ستار الاعجاب بزهورى .. لا ريب انه عرف شيئا عنى والا لما قام بهذه الزيارة المفاجئة !

ـ حدثنى بزيارته . ولا تنس التفاصيل

واصغت بريمروز الى قصة هاوى الزهور فى اهتمام شديد . وقد تألق فى عينيها بريق خطر

واخيرا صاحت بحدة : يا لك من احمق ! لو كان لوبين

تخالجه اية ريبة من نحوك لتجنب لقاءك .. فاذا كان قد بدا يرتاب . فان الخطأ خطاك ..

ـ ماذا اصنع اذا تحدث الى مرة اخرى ؟! ..

ـ قابله ببشاشة . القِ عليه محاضرتك المألوفة عن الزهور .. يا الهى ! لقد القى لوبين الذعر فى قلوبكم جميعا . وهو اسوأ ما فى الموقف ..

ووضعت السماعة .. والتفتت الى ابيها وشرر الغضب يتطاير من عينيها .

فسألها : ماذا حدث ؟

ـ لقد ابدى لوبين اعجابه بزهور بلاين . فظن هذا ان لوبين نشط لمطاردته . عجبى لهؤلاء السذج .. هل يعتقدون ان لوبين قارىء افكار ! انه لمما يزعجنى كثيرا ان ارى الفزع الذى يستولى عليكم جميعا لمجرد ذكر اسمه ، صحيح انه خطر . ولكن لو اننا احتفظنا برؤوسنا لاستطعنا التغلب عليه وسحقه

ـ ان لوبين اشد فتكا من السم .. فمن اين لك ان تعرفى انه لم يرتب فى امر بلاين ؟

فالتفتت اليه ورمقته بنظرة مخيفة .. ثم قالت :

ـ ايها الاحمق !! لقد اقام ماثيوبلاين فى كوخه اعواما طويلة . وجميع اهل القرية يعلمون انه خادم معتزل ، وما برح يذهب الى القرية وينتقد زهورنا بمرارة وسخرية ! واما نحن فنزعم الاشفاق عليه والرثاء له ، فكيف يحق الشيطان ان يرتاب فيه !

فتهالك السير هيستنجس فوق احد المقاعد : وقال : انى آسف يا بريمروز .. فانت دائما على حق ، ولكن الا تعتقدين أن الوقت الحاضر هوانسب الاوقات للخروج من هذا المأزق ؟ .. لنبادر بالفرار قبل ان يحطمنا لوبين .

فتطلعت اليه الفتاة شزرا ، فكف عن الكلام ، وقد انتابه الوجـــــل ..

وقالت : ابي .. انك ابله .. لقد قضينا اعواما طويلة ونحن نعمـــل بمنتهى الحرص والحذر واستطعنا ان نغرر برجال سكتلانديارد ، وقد ظل النجاح حليفنا على طول الخط ، فهل بعــد هذا تتحدث عن الفرار ؟ !

فقال ابوها بحماس : لقد حصلنا حتى الان على ما يجعلنا في غنى عن التعرض لأخطار جديدة ثم ان مطاحن الدقيق تدر علينــــا دخـــلا كبيرا .

– ومن اين حصلت على راس مال هـــذه المطاحن ! وهل تظن انني كدحت طيلة هذه الاعوام السبعة ورسمت تلك الخطط الجبارة لأتنحى عنهـــا في الوقت الذى بدأنا فيه نحصل على ثمـــار مجهوداتنا ! كلا يا ابي ! انك واهم .. فاترك لي معالجة الموقف .. وثق انني ساحطم لوبين عن قريب ....

وطرق الباب في تلك اللحظة ، ودخل داوس ليعلن ان مسيو ارسين لوبين يريد مقابلة سـيدته

الفصل العشرون

قاد داوس الزائر الى غرفة المكتبة . فقـــال الســـير هيستنجس بصوت حاول جاهدا ان يجعله هادئا رقيقا : تفضل يا مسيو لوبين ! تفضل ! يسرني ان اراك مرة اخرى، انك تعرف ابنتي اليس كذلك ؟

فاجاب لوبين وهو ينحني للفتاة باحترام : نعم . لقـــد تقابلنـــا من قبـــل .. فاني لن انسى ما حييت كيف خفت ابنتك لمساعدة رجـــل بائس يا سـيدى .. رجل يدعي ليفنجستون قد استخدمته الان وصيفا لى

– هكذا سمعت ..

فقال لوبين برفق : لقد استهوتني قريتكم .. ومن ثم قررت ان اقضي كل عطلتي فيها .. على ان هنـــاك بضع مسائل خطيرة تشـــغل بالى . ولقد خطر لي ان اصفيهـــا لأستريح . لقد جئت اليوم لاطلب اليك ان تعطيني تصريحا رسميا بالبقاء حيث انا ، فقد علمت ان البقعة التي اعســـكر فيها من املاكك

كان لوبين كاذبا ، وفوق ذلك فانه كان يعلم ان البقعة التى يقيم فيها بسيارته ليست ملكا للســـير هيستنجس ولكنه لم يجد عذرا غير هذا يبرر به زيارته للقصر

قال السير هيستنجس مبتسما : لقد اخطأت من ابلغك ذلك يا مستر لوبين لأن الغـــابة ملك للكولونيل فرانكلين ، وهو رجـــل كريم سمح

راح الرجلان يتجاذبان اطراف حديث طويل ودى ، ولكن لم يخف على لوبين ما كان يخـــالج رب الدار من قلـــق واضـــطراب ، ولا الانفعـــال الذى كان يعتلج في اعمـــاق بريمروز برغم تمسكها الظاهر بهدوئهـــا ورباطة جأشها

وفى اثناء الحديث سأل هيستنجس لوبين : انتـــوى اطالة بقائك هنا يا سيدي

– ربما ، فان مناخ هذه المنطقة يلائمني .. وفوق ذلك فان قصة الجواهر .. آه ! ارجو المعذرة . ماذا كنت تقول يا مستر هيستنجس ؟

ولكن المستر هيستنجس لم يكن يقول شـــيئا .. كل ما حدث انه صدرت منه عدة اصوات منكرة لدى سماعه عبارة لوبين كما لو كان قد اخطأ وابتلع الناحية المتقدة من لفافة التبغ التى كان يدخنها واما بريمروز فقد ارتسمت في عينيها نظرة فزع مقرونة بالابتهـــال

ووقف لوبين لينصرف .. ثم قال : ارجو ان تســمح

لى باستعمال طاحونك القائم على ضفة النهر .. لاستبدال ثيابى كلما اردت السباحة .. ارجو الا يكون هنالك ما يحول دون اعطائى مثل هذا الترخيص !

فقال رب القصر بصوت يشبه فحيح الافعى :

ـ كلا .. ليس ثم ما يمنع من استعمالك للطاحون !

ظن لوبين السير هيستنجس طعنتين متواليتين ساحقتين .. اولهما تنويهه عن الجواهر واعتذاره .. وثانيتهما ذكر الطاحون الذى كاد يلقى فيه حتفه .. وفى كلتا الحالتين كانت دلائل الفزع التى لاحت على وجه رب الدار اسطع وابلغ دليـل على ان له ضلعا كبير فى الحادثين

ورافقت بريمروز لوبين الى خارج القصر .. وتطوعت لان تطوف به فى ارجاء الطاحون

وظل الاثنان ملازمين الصمت حتى غادرا حديقة القصر .. وتوغلا فى الغابة .. ثم ولجا باب الطاحون العتيق . وعندئذ طرا تبدل كبير على الفتاة .. وتوقفت فجاة .. وقبضت بيديها على ذراعى لوبين .. فاحس بجسمها ينتفض كما لو كان قد سرى فيه سيال كهربائى

وهمست بضراعة : لماذا بالله عليك تعذب ابى كل هذا التعذيب القاسى ؟ لماذا تتحداه جهارا ؟

ـ انى لم اتحده جهارا .. وفقط لمحت له تلميحا .

فقالت الفتاة لاهثة : ان ذلك لا يغير من الواقع شيئا .. فانى اتعذب .. وساتعذب اكثر فى المستقبل .. انك لا تعلم وحشية ابى عندما تطغى عليه موجة الغضب !

وانتفضت .. والتصقت به .. ثم اردفت : انى خائفة بل انى جد خائفة !

فرفع لوبين وجهها بين يديه .. وتطلع فى عينيها العميقتين وقال : اصغى الى يا بريمروز .. انى ادرك

الحقيقة .. فيجب ان تفضى الى بها .. ان هذا الرجل ليس اباك بغير شك .. اليس كذلك ؟ ما الذى يحملك على البقاء معه ؟

ـ اوه !

ولم يستطع ان يسيطر على اعصابه . وتملكه اغراء شديد . فهوى على شفتى الفتاة يقبلهما

ـ فهمست فى اذنه : انى احبك من كل قلبى ! فلا تقم اى وزن للاعتبارات الاخرى ! انى ملك لك .. فانت رجل عظيم .. قوى وشجاع !

كادت بريمروز تسرف فى تمثيل دورها .. ولكن حرارة الموقف اصمت لوبين عن تدارك الحقيقة .

قال بحماس : ينبغى ان تدعى لى فرصة مساعدتك يا بريمروز

فقالت بلهجة تنم عن الاسى : ولكن هذا ليس فى مقدورك .. فينبغى ان تبادر بالرحيل . انى شديدة الخوف من اجلك ، خاصة بعد الذى حدث ليلة امس

ـ آه ! نعم .. حدثينى بما وقع ليلة امس .

ـ ان هذه الحوادث الرهيبة تبدو الآن كحلم بغيض .. فقد اغلق هؤلاء الوحوش على باب غرفة المخزن .. وبعد ان انصرفوا تبينت ان فى استطاعتى الخروج .. فتسللت الى الدهليز .. ورايت ما حدث لك .. آواه .. كم تولانى الفزع من اجلك !

ـ وقد دفعك هذا الفزع الى انقاذ حياتى من موت محقق

ـ وجدت حجرا . فلطمت به الرجل المقنع فوق راسه . ثم القيته فوق المصباح فحطمته وحينئذ قطعت وثاقك ولذت بالفرار

كانت الخطوات التي سردتها بريمروز هي نفس الخطوات التي سلكها الشخص المجهول الذي خف لمساعدة لوبين .. وراحت بريمروز تراقب وجهه . وما لبثت ان تأكدت من انه لا يزال يعتقد انها هي التي انقذته من موقفه المؤلم ..

فقال لوبين بعزم : ما حدث امس قد يحدث مرة اخرى . ولكن ثقي من انني لن اوخذ على غرة بعد الان . فلا تلقي بالك من ناحيتي .. والان لنتحدث عن ابيك .

فقاطعته قائلة : ارجوك الا تلقي علي اية اسئلة عنه ، فاني اجهل اسراره . الا النزر اليسير . ففي النهار مثلا يسود القصر جو من الهدوء والطمأنينة .. فاذا اقبل الليل .. وقعت فيه امور شاذة غير مالوفة . واحسب ان ساتجلي كان الراس المدبر لكل هذه البلايا . وما كان ابي الا اداة تتحرك وفق مشيئته . وكان هو الرجل الذي قتل الجاويش روبر لانه وقع على بعض آثار دلته على الموبقات التي يرتكبها . وفي الليل ايضا يتردد على القصر رجال مجهولون .. أواه اني اقدر مدى المعونة التي تريد ان تمد بها يدك الي . ولكن من العبث ان تفكر في محاربتهم وحدك . اني في امان . لأنهم لا يستطيعون ان يمسوني بسوء .. فارجوك ان تغادر هذه البقاع وتنسى ما رايت وما سمعت ..

ولكن لوبين لم يكن بالرجل الذي يتزحزح عن موقفه خاصة اذا كان الامر يتعلق بمطاردة عصابة خطيرة من لصوص الجواهر ..

ومن ثم قال لها : هذا مستحيل .. ينبغك ان تذكري ان بعض السفاكين حاولوا ان يقتلوني عدة مرات .. ولا مفر

من ان اصفي حسابي معهم .. فلا تحاولي عبثا ان تثنيني عن عزمي ولهذا اردت ان اقصيك عن مسرح الحوادث حتى اذا ما وقعت الواقعة كنت بمنأى عنها ولم ينلك رشاشها . فما الذي يمنعك من الفرار ؟

فصاحت لاهثة : أواه .. انك لا تقدر الموقف على حقيقته يا صديقي ! ليس في استطاعتي ان انجو بأبي . ولا استطيع ايضا ان اهجره .. انه ابي .. فليساعده الله !! ثم اين اذهب وانا لا املك اي دخل يساعدني على الحياة ؟ !

- اذا كان رحيلك متوقفا على المال .. ففي استطاعتي ان ازودك به ..

فقالت بصوت خافت : الم اقل لك انك لن تستطيع تقدير الموقف على حقيقته ؟ كلا .. كلا .. ليس في استطاعتي ان اهجر هذه القرية الوادعة .

وادرك لوبين ان من العبث ان يسترسل في حديثه .. فادار الدفة الى ناحية اخرى

قال : وماذا تعلمين عن خدم القصر ؟

- اني اوجس من داوس .. فما اظنه بخادم عادي .. صحيح انني لم اره يصنع شيئا غير مالوف . ولكن شعورا قويا يحدثني بان بينه وبين ابي صلة اخرى غير صلة الخادم بمخدومه

- والخدم الباقون ؟

- انهم جميعا لا غبار عليهم .. فغالبيتهم من الريف .. وانا لا اخافهم .. فلماذا تسألني عنهم ؟

- هل ماري ستيفنز ريفية ايضا ؟

كلا : انها حديثة العهد في خدمتي .. واني راضية عنها

فقال لوبين غير مدرك انه يوشك على ان يوقع بأعز صديقة له :

ـ اذن ينبغي الا تطمئني اليها .. وعندي انه من الحكمة ان تراقبي هذه الفتاة !

ـ اراقبها ! ؟ لماذا ؟

ـ انى افضل عدم ذكر التفاصيل حتى احصل على دليل حاسم .. ويكفى ان اقول لك أن مارى ستيفنز ليست وصيفة عادية .

ومنذ هذه اللحظة ، وقفت باتريشيا هولم فى منطقة الخطر

وكذلك رد اليها لوبين الصنيع الجليل الذى اقدمت عليه من اجله ! !

الفصل الحادى والعشرون

استولى الفزع والذهول على بريمروز .. ولكنها حرصت على ضبطت اعصابها . فلم تبد على وجهها اية علامات تفصح عن الازمة النفسية العنيفة التى كانت تهزها هزا

واخذت الفتاة تستعرض ظروف استخدام الوصيفة ، وتذكرت انها اتصلت بمخدومتها السابقة تليفونيا .. واستفسرت عن سلوكها . فجاءها الرد مرضيا . فتساءلت : ترى هل وضعت هذه الوصيفة عمدا بالقصر ؟ واذا كان ذلك فمن الذى وضعها ؟ اهى ادارة سكتلانديارد ام من ؟

وفجأة سالت لوبين : ولماذا تقول ان مارى ستيفنز لا تحبنى ؟

وكأنما ادرك لوبين خطأه بعد فوات الاوان . فقال محاولا اصلاح بعض ما فسد : هل قلت ذلك ؟

وضحك .. ثم استطرد : انني ما قلت ،، فانني لا اعرف شيئا عن الفتاة . ولم ارها فى حياتى .. اعتبرى

ما قلته زلة لسان ، ودعينا نتحدث فيما هو اهم .

ولكن بريمروز لم تكن اقل تصميما من لوبين على البقاء فى قرية باردلاو مهما حدث

واخيرا حان موعد افتراقهما ، فودعته .. وركضت بين الحقول ، وهى تلوح له بيدها .. وقد ايقنت انه اصبح العوبة فى يدها .

وما كادت الفتاة تختفى عن ناظريه ، حتى انصرف الى التفكير فيما حدث خلال المقابلة .. وشعر بأسف شديد لانه اثار ريبة بريمروز فى وصيفتها ، ولعلها كانت بريئة !!

ومضى لوبين الى القرية ، وقضى حوالى نصف ساعة وهو يتحدث الى صاحب فندق الاسد الاحمر ، وغيره من اهل القرية ، واستطاع ان يحصل على مجموعة لا بأس بها من المعلومات .

علم ان عاوى الزهور يدعى ماتيو بلاين .. وان منزله الفخم يعرف باسم كوخ الفجر .. وانه خادم متقاعد ، عاش فى باردلاو زهاء سبع سنوات عيشة هادئة لا يكدرها شيء ، وتقوم على تنظيف كوخه امرأة تدعى مارتادا وهى زوجة نجار القرية ، فتذهب الى الكوخ فى الصباح .. وتغادره بعد ان تفرغ من تنظيفه وتنسيقه .

ولم يكن بين هذه المعلومات ما هو غير عادى ، او يستدعى الريبة .. ولكن لوبين لم يستطع أن يتخلص من الفكرة التى سيطرت على راسه فيما يتعلق بحالة الفزع الشديد الذى استولت على ماتيوبلاين عندما سمع اسمه .

وهناك ايضا يدا بلاين ، الحساستان ، ذواتا الاصابع الطويلة ، واللتان تشبهان يدى لص محترف ، او فنان ..

ولكنهما ابعد ما تكونان عن يدى بستانى ؛ حتى ولو كان يرتدي قفازا يحميهما ..

وقضى لوبين اغلب نهاره وهو يفكر فى ماتيوبلاين .. وعندما عاد الى معسكره فى النهاية كان قد حزم امره على ان يقوم ببحث حالة هذا الهاوى بحثا دقيقا :

فلما كان العصر .. انطلق لوبين الى حديقـة الرجل .. فوجده يتجول بين زهوره .. ولما رآه ، صاح بلطف : اهذا انت يا مسيو لوبين ؟ لعلك جئت لتلقى نظرة اخرى عـلى زهورى ؟

وفتح لوبين بوابة الحديقة .. ومشى الى حيث كان الرجل واقفا ، وتطلع الى باب المنزل ، فالقاه مفتوحا ..

وابتسم لوبين فى وجهـه وقال : ان الحـديث الذى تبادلناه هذا الصباح جعلنى اولى اهتمامى الى الزهور .. فانظر الى الزهرة التى جئتك بها ..

واخرج لوبين من جيبـه وردة حمراء اللون ، قوية الرائحة . فما كاد بلاين يراها حتى تهللت اسـاريره .. وثبت عويناته فوق انفه ، ثم تناول الوردة من لوبين بلهفة شديدة ، وتاملها قليلا .. ثم قال بحماس :

ـ انها بغير جدال وردة نادرة ، والحق انى لم اكن ادرى ان بالقرية مثل هذا النوع الثمين .

ـ اذا كان قد اعجبك منظرها ، فان رائحتهـا اعجب ياصديقى ، فشمها .

فشم ماتيوبلاين الوردة عدة مرات ، حتى امتلأت رئتـاه رائحتها .. ثم صاح بانفعال :

ـ هذه وردة مدهشة .. ان رائحتها من اجمـل الروائح التى شممتها فى حياتى يا مستر لوبين فهل لى ان اسالك كيف حصلت عليهـا ؟

فضحك لوبين وقال : قد تطردنى من حديقتك يا مسـتر بلاين .. ولكنى اعتذر لك سلفا ، اننى لم اتمالك من قطف هذه الوردة من حديقة السـير هيستنجس تريفور .. وقد جلبتها اليك لأبين لك انه اذا كانت هناك منافسة ما بين شخصين فينبغى أن يتـركا الحكم للجمهور .. ولا يسـفه احدهما الآخر .

فقال بلاين ببرود : آ ! لم يدر بخلدى ان لدى السير هيستنجس مثل هذه الورود النادرة ! ارجو المعـذرة ، هذا عجيب ! اننى اشعر بدوار .

واخرج الرجل غليونه من فمه ، وكاد يسـقط فوق الأرض لو لم يسارع لوبين الى مساعدته وقال له : لاريب انك قضيت وقتا طويلا معرضا لأشعة الشمس الشديدة .

فقال بلاين وهو يوجه خطـجاه المعثرة الى المنـزل : كلا ان الشمس لم تؤثر فى فى احـــد الأيام . ارجوك ان تساعدنى فى الذهاب الى الكوخ فانى اشعر بدوار شديد .

وقاد لوبين محدثه الى غرفة الجلوس . واجلسـه فوق أحد المقاعد .. وان هى الا بضع ثوان ، حتى غاب الرجل عن وعيـه .

وغمغم لوبين بحرارة : اشكرك يا اخى ..

وتطلع الى ساعته .. وكان بلاين قد استنشق كمية من المخدر الذى دسه له فى الوردة تكفى لان تفقـده وعيه خمس دقائق على الاقل .. او عشرة على الأكثر .. وفى هذه الفترة يكون المخدر قد تبخر من الوردة .. ولم يعد له أثر فيها .

واخرج حافظة اوراقه .. والتقط منها ورقة مقواة .. لرجة السطح ! . ووضعها فوق منضدة صغيرة حملها امام المقعد الذى كان يشغله بلاين .. ثم ضغط يدى هـــذا

الأخير بالتعاقب فوق الورقة . وبذلك حصل على بصمات اصابعه واضحة جلية .
ثم أعاد الورقة الى الحافظة . وتطلع الى ساعته مرة أخرى .. ونشط للعمل .

أغلق باب الكوخ العام .. وقام بجولة سريعة فى الكوخ فطاف بغرفه الثلاث فى الطابق الأرضي .. ثم صعد الى الطابق العلوى حيث وجد غرفة النوم ، فى مقدمة الكوخ . وغرفة أخرى معدة لنوم الزائرين . وغرفة بها تشكيلة من الامتعة .. ثم الحمام .

وكان جميع اثاث المنزل انيقا نظيفا . يدل على سلامة الذوق .

ولم يجد لوبين فى المنزل مايدعو الى الريبة . وبدا يعتقد انه ربما اخطأ فى الاشتباه في الرجل . ثم عاد أدراجه الى غرفة الجلوس حيث كان بلاين نائما . والقى نظرة سريعة على المكتب ثم مضى الى المطبخ . وتفقده . فاسترعت اهتمامه (حصيرة) كبيرة تغطى أرضه المصنوعة من البلاط .. فأزاحها من مكانها .. وعندئذ راى تحتها بابا سريا من الخشب . له مقبض نحاسي فرفعه الى اعلا .. وسلط اشعة مصباحه الى اسفل . فراى بئرا .

ولم يكن فى وجود البئر شيء غير عادى .. فان فى اغلب اكواخ الريف آبارا مماثلة .. وكان الماء منخفض المنسوب فى البئر . فهز لوبين كتفيه . واغلق الباب .. ثم أعاد الحصيرة الى مكانها . وهم بمغادرة المطبخ عندما وقعت عيناه على سلم خشبى كبير غير مثبت بالجدار .. وبه خطافان من اعلى مصنوعان من النحاس الأصفر اللامع .

وتأمل لوبين السلم قليلا . ثم تطلع الى ساعته . وكر عائدا الى غرفة الجلوس على عجل .
وبعد نصف دقيقة . فتح الرجل عينيه . وتلفت حوله فوقع بصره على غليونه موضوعا فوق المنضدة الصغيرة ، والدخان يتصاعد منه . وكان باب الكوخ مفتوحا . بينما راح لوبين يصب كاسا من الويسكى من زجاجة اخرجها من الدولاب .
وقال لوبين بهدوء : لقد خيل الى انك ستموت .
وقدم له كاسا من الويسكى .. فجرع بلاين بعضه .. وعندئذ استعاد وعيه تماما .
ثم قال بحنق وهو ينهض : هذا امر شديد الغرابة .. لست افهم ماذا حل بى .. فاننى لم اشعر بمثل هذا الدوار من قبل .
فضحك لوبين وقال : ان كل انسان معرض لمثل هذه النوبات .
ومضى الرجلان الى الحديقة .. واستطرد لوبين : انظر الى اشعة الشمس الحامية . ومن المحتمل انك اصبت بضربة شمس بسيطة .. ترى ماذا حدث لوردتي ؟ آه .. ها هي . !
كانت الوردة ملقاة فى احد ممار الحديقة . فالتقطها لوبين وشمها طويلا .. ثم وضعها فى عروة بلاين .. وهو يمزح ثم ودعه وانصرف .
وبقى الرجل يتامل لوبين حتى غاب عن ناظره .. وقد ارتسمت على وجهه سمات الحيرة . والخوف .
وغمغم بحنق : عليه اللعنة .. ترى ماذا كان يقصد من ذلك ؟ أهو الفضول ؟ لا اصدق انه جاء بهذه الوردة من

حديقة قصر هيستنجس ، فانه ليس فى هذه الحديقة ورد كهـذا .

وبدأت الهواجس تنتابه :

وفى تلك الأثناء بدأ لوبين يشعر بريبة مضاعفة . وقلق غير عادى .

وتصادف ان مر بمرتفع يشرف على الفابة وما يحيط بها وتلفت حوله . وعندئذ راى ان المسافة بين كوخ بلاين وقصر هيستنجس لا تعدو بضعة امتار من هذه البقعة . ولو انها تبدو أكثر من نصف كيلو اذا اراد المرء سلـوك الطريق العام .

فغمغم قائلا : سوف نرى يا صاحبى . !

وبعد خمس دقائق كان لوبين يستقل سيارته المصفحة بعد ان فصلها عن الفرقة . وانطلق الى لندن بعـد ان أوصى ليفنجستون بالتزام الحذر الشديد .

واوقف لوبين سيارته امام سكتلانديارد . ومضى الى غرفـة المفتش وليامز .

واستقبله المفتش بهدوء . وأجال لوبين بصره فى ارجاء الغرفة البسيطة التأثيث . وقال :

ـ اذن فهم يضعونك فى هذا السجن ! الحق انى ماكنت لارضى بهذه الغرفة المقبضة فقاطعه وليامز : ما اظنـك جئت لتتحدث عن السجون والاثاث . فلماذا جئت يالوبين ! فاخرج لوبين الورقة التى تحمل بصمات اصـابع بلاين .. ووضعها فوق (نشافة) المفتش وقال :

ـ انى أريد منك جميلا ياوليامز . اريد ان تفحص هذه البصمات لاعرف اسم صاحبها الحقيقى .

ـ وبصمات من هذه ؟

ـ هذا ما جئت فى طلبه ..

ـ اعنى اين حصلت عليها ؟

ـ اوه .. لقد جئت لاطلب اليك صنيعا .. ولكنك تصر استجوابى .

ـ حسـنا .

ودق المفتش وليامز جرسا امامه . فاقبل احـد مساعديه ، فعهد اليه بفحص البصمات وافادته بالنتيجة فى الحال ..

وبعد ربع ساعة .. عاد المساعد .. ووضع ورقة ما .. وما كاد المفتش يرى ما هو مدون فيها حتى صاح بدهشة شديدة : كارتريت !!

وتهللت اسارير لوبين . ثم قال : اهو صديقك ؟

فانبعث المفتش واقفا على قدميه .. وأمسـك بذراع لوبين . وقال :

ـ كيف حصلت بحق الشيطان على هذه البصمات ؟

ـ لا ضرورة للانفعال يا صديقى .. انى اعلم اين يوجـد كارتريت . فهل انت متلهف على مقابلته ؟ ! الا ترى أنه من الحكمة ان تحدثنى بطرف من تاريخ الرجل .

فعاد مستر وليامز الى الجلوس ، وقال : انى لم اكن اتوقع هذه النتيجة ، ان هذا الرجل اكبر مزيف ماس عرفـه البوليس حتى الآن ! واسمه بالـكامل وليام تشارلس جورج كارتريت ، وهو مولود فى جوهانسـبرج وقضى حياته كلها يشتغل بالمـاس ، وكان الى سن الخامسـة والعشرين كاتبا محترما فى شركة دى بير ، ثم ساهم فى قضية سرقة ! . د . ب . المشهورة ، ولكن لم يثبت شىء ضده ، وبعدئذ رحل الى امستردام وتلقى هناك طريقـة قطع بالمـاس ، وصياغته ، وما لبث ان اتصل بتجـار الماس المسروق فى لندن ، فكانوا يرسلون اليـه

بضاعتهم فيصوغها من جديد فى اشكال اخرى وبذلك تضيع معالمها الأصلية ، وتتعذر معرفتها !! وقد حكم عليه بالسجن سبع سنوات ، ثم بعشر ، ولما غادر السجن اختفت آثاره تماما . ولم نسمع عنه حتى الآن ، ولكنى اعتقد انك عثرت عليه فى مقاطعة سفولك منتحلا شخصية اخرى غير شخصيته الحقيقية .

– ومن قال ذلك ؟

الظنتنى ابله ؟ ! يا الهى ! ترى هل لكارتيرت علاقة بالسرقات الكبيرة التى وقعت فى العهد الأخير ؟

– اى سرقات تعنى ؟

– لا تحاول التظاهر بالسذاجة يا لوبين . فانت تعلم جيدا ماذا اعلم .. اننا لن نوفق فى تتبع آثار الجواهر التى سرقت فى السنوات الأخيرة .. فيجب اذن ان تخبرنى اين يوجد كارتريت الآن .. وماذا يصنع .. او ماذا يزعم عن عمله الذى يزاوله . فما اظن وجودك فى باردلاو لمجرد النزهة .

– اصبت .. فان جو باردلاو قد اصبح الآن خانقا .

واردف ويليامز : وفوق ذلك .. فليس للبقاء صلة بالفتاة ثم ماذا تعلم عن القرط الماسى الذى اعطيته لى عقب مصرع الجاويش روبر ؟ لقد كان هذا القرط احدى قطع الجواهر التى سرقت من الفندق بيفن .. وتقدر قيمتها بثمانين الف جنيه

وتطلع المفتش الى لوبين فى حنق .. واستطرد : كان روبر الاحمق يعرف شيئا عن هذه العصابة .. ولكنك تعرف اكثر منه .. ولقد عولت على ان ارافقك الى باردلاو .

– فكر مرتين قبل ان تقدم على شىء من ذلك يا وليامز

– انك لا تستطيع ان تحبس ما عندك من معلومات

عامة عن البوليس والا تعرضت للمحاكمة . ان زعماء هذه العصابة الخطرة قد وفقوا حتى الآن الى الظفر بكمية كبيرة من الجواهر لم يظفر بها احد منذ عهد القرصان مورجان . ولم نستطع ان نقف لهم على اثر حتى هذه اللحظة .. فاذا كان فى استطاعتك ...

– فى استطاعتى أن اساعدكم مساعدة قيمة ، ولكن على طريقتى الخاصة ، فحذار ان تقرب قرية باردلاو فى الوقت الحاضر .. وامنحنى يوما او يومين اقدم لك زعماء هذه العصابة ثم غادر الغرفة .

الفصل الثانى والعشرين

وضعت بريمروز وصيفتها الجديدة مارى ستيفنز تحت المراقبة الشديدة عقب التحذير الذى وجهه اليها لوبين . وبينما كانت تتناول طعام العشاء مع ابيها فى تلك الليلة ، اخذت تتأمل الفتاة بامعان .. فخيل اليها انها رأتها من قبل ولو انها لم تستطع تحديد الظروف بالدقة .

فلما فرغا من تناول الطعام .. ذهبت مع ابيها الى غرفة المكتبة . وقال ابوها :

– انى الاحظ انك قلقة اليوم على غير العادة يا بريمروز وما احسبك الا وجلة من لوبين فان هذا اللعين يوشك على تحطيم اعصابنا جميعا .. فلماذا لا تفكرين مليا فيما اقترحته عليك هذا الصباح ؟ فما زال امامنا متسع من الوقت ..

فقطبت بريمروز حاجبيها .. وقالت : انى لا افكر فى لوبين .. انى افكر فى هذه الفتاة مارى ستيفنز بعد اذ حذرنى منها .. وانى لاتساءل عن سبب هذا التحذير .. فاذا كانت احدى نساء البوليس لعرفها لوبين وشملها بحمايته .. لكن هذا غير معقول .. لانه يكره البوليس من

كل قلبه .. ويقوم بمغامراته دون اعتماد على احد .

وسعل السير هيستنجس .. وتردد قليلا .. ثم قال: ان لوبين لا يقوم بمغامراته بمفرده في كل الأحوال .. فهل تذكرين حادث فوجار ، لقد كان يستعين بفتاة ، اسمها باتي .. باتريشيا هولمز او هولم لست ادرى .

فصاحت بريمروز : مهلا ! مهلا ! اتذكر ليلة ان اطلق النار على سانجلى ؟

فهتف أبوها : لا داعى لذكر حوادث هذه الليلة المؤسفة يا بريمروز .

— بينما كنت والمفتش وليامز في غرفة القتيل .. تسللت ولوبين الى خارج الدار ، واوهمته بانني اكاد ان افقد وعيي من الخوف .. فقبلني .. وفي تلك اللحظة اقبلت سيارة تقودها فتاة .

— نعم .. اذكر انك حدثتني عن ذلك .

— انني لم ارها لأن ضوء مصباحي السيارة كان يسقط على فيحجبها عن عيني . وقد عدت الى القصر راكضة .. وسمعته يناديها باسم باتريشيا ، وقال لها انه طلب اليها الا تحضر ياالهي : لقد غضبت الفتاة وقتئذ لأنها راته يقبلني وانطلقت بسيارتها على الفور ..

وراحت بريمروز تقدح زناد فكرها .. ثم اخرجت مفكرة من درج المكتب وسجلت بضع كلمات .. وبعدئذ رفعت سماعة التليفون العادى ، وطلبت رقم بنسيون كلاكتون وهو البنسيون الذى تديره عمة باتريشيا هولم .

ثم قالت : اهذه انت يا آنسة بلوم ؟ هل استطيع ان التحدث الى بات ؟

كانت بريمروز قد ارادت التأكد من الخاطر المريب الذى طاف بذهنها .

وسمعت محدثتها تقول : تعنين الآنسة باتريشيا هولم ؟! انها ليست هنا في الوقت الحاضر . فاذا شئت ..

— اوه !! حسنا .. لقد اخبرتني باتريشيا فعلا انها ستتغيب عن البنسيون بضعة ايام .. ولكنني ظننت انها ربما تكون قد عادت .. انا احدى صديقاتها . وليس للامر اهمية خاصة .

ووضعت بريمروز السماعة .. ثم التفتت الى ابيها . وهى تكاد تنشق غيظا .

وقالت : ابى .. يبدو ان في الامر شيئا غامضا .. غموضا غير عادى .

— غموض ؟ ليس في الامر اى غموض بالمرة .. فقد عمد لوبين الى ابقاء صديقته داخل القصر بطريق الحيلة ليتمكن من مراقبة حركاتنا وسكناتنا بدقة . والله وحده يعلم ماذا عرف من شئوننا حتى الآن .

فقالت بريمروز ببرود : مهما تكن طبيعة المعلومات التى وقفت عليها الفتاة فقد احتفظت بها لنفسها . اذ لو كان الاثنان يعملان بالتضامن معا ، لما عمد لوبين الى الوشاية بالفتاة .. كلا ان الامر غريب كما قلت .

واطرقت مفكرة ، وما لبثت ان رفعت رأسها وصاحت :

— لقد فهمت .. عندما قرات الفتاة الاعلان الذى نشرته في الصحف المحلية جاءتني مدعية انها وصيفة . ولا ريب انها ظنت ان لوبين قد وقع في حبى .. فدفعتها الغيرة على مراقبته ومن ثم لجأت الى هذه الوسيلة غير عالمة بانه قد بدا مغامرة من اخطر مغامراته .. ولعل هذا هو سبب جهله بأن هذه الفتاة هى صديقة باتريشيا هولم .

السير هيستنجس رأسه فى اسى .. وقال : انكن

معشر النساء اشد دهاء من ادهى الرجال .. اعتقـد انك عى حق فيما ذهبت اليه .. بل انني واثق من ذلك .. بيد ان هذا لا يغير من الموقف شيئا .. لأن الفتـــاة خطرة كلوبين .

ـ بل اخطر منه عشرات المرات .. فقد استطعت ان اغرر بلوبين . ولكنى لن استطيع التغرير بها . فهى تعلم اننى شريكتك وشريكة بلاين . وهـذا ما دفعها الى تحذير لوبين منا ..

واستطردت بانفعال : بالله يا ابى . لاريب ان هذه الفتاة هى التى انقذت لوبين من تحت حجر الطاحون . واكبر ظنى انها تعقبتنى عقب خروجى من القصر . ورات كل ماحدث واقدمت على انقاذ صديقها فى الوقت المناسب .

فتأوه السير هيستنجس .. وسال العرق فوق جبهته !

واستطردت ابنته

ـ لكن ما زال فى الوقت متســع لمعالجة الموقف .. لان الفتاة لم تصارح لوبين بعد بما تعرفه من اسرارنا . فينبغى اذن ان تختفي من عالم الوجود .. وليكن ذلك الليلة .

فصاح ابوها : يا الهى ؟ لا احسبك ترمين الى ..

فدقت بريمروز الجرس وهى تقول : لقـــد كان روبر يعرف طرفا من أسرارنا .. فحدث له ما حدث كما تعلم .. ومع ان لوبين يعرف الكثير من هــذه الاسرار الا انه ليس خطرا علينا واما هذه الفتاة فمصدر خطر عظيم .. انهــا لم تصارح لوبين بشىء حتى الآن نظــرا لانه مس كبرياءها غير انه من المحتمل ان تعلن عن هذه الخطة فى اية لحظة فتقع الكارثة .

واقبل داوس فى تلك اللحظة . فطلبت اليه بريمروز ان يستدعى الوصيفة الجديدة . وكانت لهجتهـــا تشف عن

والحقد . فأوجس [illegible] را .. ولكنــه لم يتمالك من الاذعان .

وانصرف داوس . واغلق الباب خلفه . ثم صعد الدرج على عجل . وذهب يبحث عن باتريشيا حتى عثر عليهـــا فى غرفة نوم بريمروز . فقال لهـــا : ان الآنسة بريمروز تطلبك يامارى .

فالتفتت اليه باسمة .. وقالت : سأوافيها فى التو .

ولكنها ما كادت ترى وجه الرجل ، وما ارتسم عليه من الجزع المقرون بعدم الاكتراث حتى تملكها التشاؤم .

وقالت : من عجب ان الآنسة تطلبنى فى هذا الوقت من المساء . ؟ ترى لمـــاذا تستدعينى ؟

فاجاب داوس وهو يمسك بها من ذراعها : علم ذلك عند ربى ...

وشدد الضغط على ذراعها ، فزاد قلقها وعولت بدورها على العمل .

مشت بجواره الى الدرج . وبينما كانا يهبطان ، مدت ساقها بين ساقيه ، فاختل توازنه ، وهوى متدحرجا فوق الدرج ، فانكسرت قدمه : وفقد وعيه .

ولاذت باتريشيا بالفرار ..

وكانت بريمروز قد تركت باب غرفة المكتبة مفتوحا قليلا فلما سمعت الضوضاء الناجمة عن سقوط داوس ، خرجت وابوها يستطلعان جلية الامر ، وعندئذ رايا ما حل بداوس وهمست بريمروز من بين اسنانها : اين الفتـــاة ؟ اين الفتـــاة ؟ .

وتركت اباها يعنى بالجرح ، وراحت ترتقى الدرج وثبا .

ولكن مارى ستيفانو كانت قد تركت عملها بغير سابق انذار ! .

الفصل الثالث

عاد لوبين من لندن الى قرية تاردلو ، وقد حزم أمره على الهجوم ..

راح يقدم زناد فكره طوال الرحلة ، وبدأ يصور الموقف على ضوء المعلومات الجديدة ..

أيقن ان تريفور وبلاين المشهور باسم كارتريت شريكان . يقود اولهما العصابة . ثم يسلم المسروقات الى الثاني . فيعمل هذا على تغيير معالمها ، ثم يطرحانها في السوق . فتباع كجواهر عادية ، دون ان يفطن احد الى حقيقتها .

وقد عزز اعتقاد لوبين هذا ، ماسمعه من ان كارتريت يذهب الى فراشه ، أو يتظاهر بذلك في الساعة الحادية عشرة مساء ، ولكنه لا يغادر هذا الفراش قبل الساعة العاشرة صباحا ..

فهل يصرم كارتريت أغلب ليلة في العمل . وتغيير معالم الجواهر المسروقة ؟ واذا كان ذلك فأين يقوم بعمله هذا ؟ هل توجد في قصر السير هيستنجس ورشة سرية يلجأ اليها بعد الساعة الحادية عشرة مساء .. أم ان هذه الورشة موجودة في كوخ الفجر نفسه ؟

وتذكر لوبين البئر . والسلم . فقال لنفسه : من عجيب ان يثبت كارتريت خطافين بالسلم فهل لهذين الخطافين معنى خاص ؟ واذا كان لهما معنى .. فما هو ؟

ولم يستطع ان يجد جوابا للسؤال الأخير . ولكنه شعر بسرور لمجرد اعتزامه الهجوم في تلك الليلة بالذات . وادرك أنه سرعان ما يكتشف الإجابة عن جميع الأسئلة المحيرة التي تجاوبه ..

ووصل الى معسكره بعد الساعة العاشرة مساء بقليل .. ولم يخف على ليفنجستون ن ثمة تطورات جدية قد

طرأت على الموقف بمجرد نظرة الى وجه لوبين وما كان مرتسما عليه من آيات الاهتمام الشديد .

وطلب لوبين الى خادمه اعداد طعام العشاء .. وبعد ان جلس الى المائدة .. قال لليفنجستون : اني اريد ان اعهد اليك بمهمة خاصة يا ماندى .. هل رأيت ذلك الكوخ الصغير المشيد على مقربة من قصر السير هيستنجس ؟

ــ نعم يا سيدى .. انى اعرفه جيدا .

ــ اذن اذهب وراقبه من بعيد ، ولكن احذر ان يراك أحد ، وعد الى بعد نصف ساعة فتألقت عينا ماندفيل .. وهم بالانصراف .. فاستوقفه لوبين قائلا : ولا تعد الا بعد ان ترى أنوار الطابق العلوى قد اطفئت واضيئت نافذة غرفة النوم فيه .

وانصرف ليفنجستون على عجل . واقبل لوبين على الطعام يلتهمه بشراهة .

وعاد ماندفيل بعد قليل . وقال لسيده : لقد اوى صاحب الكوخ الى فراشه الآن يا سيدى .

ــ بديع ياماندى .. اذهب الآن الى الفراش .. ونم ملء جفنيك .

فبدت امارات الأسف على وجه الخادم . ولكنه اضطر الى الاذعان ..

ورأى لوبين ان يلزم جانب الحرص . ففتح احد بابى الغرفة المصفحة .. ووقف يتأمل السماء قليلا .. ثم عاد فدخل . واغلق الباب بالمزلاج . وفى نفس اللحظة تسلل من الباب الآخر بهدوء متسترا بالظلام . ثم انطلق فى الغابة .. وبذلك امن عيون رقباء « المعارضة » .

وبعد خمس دقائق ، اشرف على كوخ كارتريت ، وكان لا يزال يشع من غرفة نوم الرجل فوقف يرقبه محاولا ان

يرسم خطة للعمل . وفقا لمقتضيات الاحوال .

ولم يطل انتظاره ، اذ ما لبث الضوء ان تلاشي . وساد الظلام .

وبقى لوبين كامنا فى مخبئه .. يتطلع الى نافذة الغرفة حتى دقت ساعة الكنيسة الحادية عشرة .. فتحرك مقتربا من سور الحديقة . وتسلقه بخفة . ثم دنا من الكوخ .. واخرج من جيبه علبة صغيرة مستديرة . ضغط على احد اجزائها .. فبرز منه شريط من الصلب الرفيع ينتهى بخطاف صلب .. وظل الشريط يسمو مرتفعا فى الهواء حتى حاذى النافذة . فجعل لوبين يحركه حتى ثبت الخطاف فى قاعدة النافذة ، وجذبه بشدة حتى استوثق من ان الخطاف قد استقر فى الخشب .. وعندئذ تسلق الشريط بخفة النمر .. فلما بلغ حافة النافذة . وثب من فوقها . حاذرا أن يمسها خشية أن يكون بها جهاز انذار .

وتلفت حوله ... فرأى الفراش مرتبا . وفوقه بيجاما .. ولكنه لم يجد لكارتريت اثرا فى الغرفة . فهز راسه .. وهبط الى الطابق الأرضي .. وقصد الى المطبخ ، وبحث عن السلم فلم يجد له أثرا .

وحك لوبين ذقنه بيده .. ثم تقدم من باب البئر السري .. ورفعه بحذر .. واصاخ السمع شيئا ، فاخرج قطعة نقود فضية من جيبه والقاها فى البئر فسمع صوت ارتطامها بالماء ، وكان الصوت ضعيفا ، فادرك ان سطح الماء منخفض .. وعندئذ اخرج مصباح الكهربائى ، وصوب اشعته الى جوف البئر المظلم ، وشدما أدهشه ان راى السلم مثبتا فى احد جوانبها .

وبدا السر يتكشف امام عيني لوبين ، وشرع يهبط

درجات السلم بهدوء وحذر ، وهو يفحص الجدار على ضوء المصباح .

وما كان يصل الى منتصف السلم حتى لاحظ ان الدرجات الباقية ، ما زالت تحمل طابع الجدة مما يدل على أن هذه الدرجات لم تستعمل بالقدر الذى استعملت به الدرجات العلويه ، وبالتالى ادرك انه ان كانت ثمة فتحة فى جدار البئر فانها فى البقعة المقابلة له .

وبناء على هذا الافتراض .. راح لوبين يضرب الجدار بقبضة يده ، وما لبث ان سمع صوتا أجوف . فأنعم النظر الى هذا الجزء من الجدار ، فرأى حجرا مسطحا يلمع اكثر من بقية الاحجار . فدفعه بقوة . وعندئذ تحرك الحجر الى الخلف .. وكشف عن فجوة كبيرة .

وهز لوبين راسه .. وادرك أن هذه الفتحة السرية تفضي الى الورشة السرية التى يؤدى فيها كارتريت عمله السرى .

وحينئذ تسلق الفتحة .. فالقى نفسه فى ممر مظلم منخفض السقف . فاضطر الى الزحف على ركبتيه ، ولكنه ما كاد يتقدم خمسة عشر قدما حتى وصل الى ممر آخر مرتفع السقف ينحدر يمينا ..

وادرك لوبين ان تاريخ هذا الممر يرجع الى القرن السادس عشر ، حين كانت الجمعيات السرية منتشرة فى ارجاء انجلترا . وادار أشعة مصباحه الكهربائى فى اركان الدهليز ، وتقدم الى الامام بحذر . فقد كان يعلم انه يسير فى اتجاه قصر السير هيستنجس .

وانحدر الممر الى اليسار فجأة .. ووجد لوبين نفسه امام باب عصرى انيق . أ . فتقدم منه بحذر شديد .. وادار المقبض ، ثم دفع الباب ففتح ببطء ، وسكون .

وبهر ضوء شديد كان يغمر الغرفة عينين لوبين . .
وسمع حفيفا صادرا من الداخل ، فولج الى الغرفة .. وقد امسك مسدسه بيده اليمنى .

كانت غرفة صغيرة انيقة بها باب آخر مقابل لذلك الذى دخل منه .. وفى احد جانبيها على الجدار ثبت رف من الرخام سلطت عليه اشعة مصباح كهربائى قوى معلق يعلوه جهاز كهربائى يرسل لهيبا قويا ..

وكان كارتريت يجلس على مقعد امام الرف . وقد انصرف بكليته الى العمل ، بينما وضعت حقيبة صغيرة من القطيفة الحمراء فوق منضدة صغيرة مجاورة له .. كانت تحتوى على مجموعة من الاحجار الكريمة ..

وهز لوبين راسه ، وابتسم .. لقد استطاع ان يكتشف وكر العصابة الخفى الذى عجز رجال اسكتلانديارد عن الاهتداء اليه . .

وكان اول ما خطر له ان السير هيستنجس قد انشا هذه الغرفة خصيصا لهذا الغرض . وان بابها المقابل يوصل حتما الى القصر ((هول)) .

وتقدم لوبين فى الغرفة حتى اقترب من كارتريت .. وقال له : كيف حال الماسات المليحة يا صديقى كارتريت ؟ ! .

الفصل الرابع والعشرين

سقطت الماسة التى كان كارترين منهمكا فى تغيير معالمها من يده .. وتدحرجت فوق الارض بينما استدار الرجل فى مجلسه . ثم انبعث واقفا على قدميه . وهو يصيح بفزع : يا الهى !

فاستطرد لوبين بهدوء : ان الزهور والعناية بها عمل يثير الاهتمام ياجورج . ولكنه عمل ينتج ماسا ايضا ! ان هذه الغرفة الانيقة .. تشعر المرء بانه فى منزله .. لكن اخبرنى

الم يمدوك بمساعدين ؟ ان البقاء طويلا فى هذا الوكر يؤثر حتما على الاعصاب .

فصاح الرجل وهو ينظر الى المسدس برعب : لا تطلق النار يا لوبين ! لقد كنت اعلم انك تطاردنى ! فاذا اردت الحصول على هذه الماسات فخذها .

فقال لوبين : انى لم آت هنا طمعا فى ماساتك . وانما .

وامسك بغتة ، فقد راى كارتريت يمد يده خلسة نحو جرس بجانب الرف . فانقض عليه . ولكمه بكل عنف فوق انفه .. فترنح الرجل .. وسقط فوق الارض فاقد الوعى

وفتش لوبين جيوبه . وعثر فى احدها على حزمة من المفاتيح .. فاخذها .. وشد وثاق الرجل ، وكممه بكيانه . ثم دفعه تحت الرف . واجال بصره فيما حوله . حتى استقرت عيناه على الباب المقابل ، ولكنه لم يهتم به كما اهتم بفجوة صغيرة فى الجانب الآخر من الغرفة . فتقدم منها . وصوب اشعة مصباحه اليها . فالفاها مؤدية الى ممر منحوت فى الصخر .. فاستعان بماسة تحديد الاتجاهات على رسم المكان الذى يؤدى اليه هذا الممر ، وخرج من تصويره بانه يؤدى حتما الى الطاحون المهجور

قال لنفسه : لعله من الخير ان القى نظرة على هذا الممر وتسلل اليه .. ومشى فيه مسافة طويلة . فما بلغ نهايته . حتى وجد امامه بابا من البلوط السميك . فاستعان باحد مفاتيح كارتريت على فتحه ، وعندئذ الفى نفسه فى غرفة صغيرة خالية من المنافذ . مبنية من الاسمنت المسلح .

ووقع بصر لوبين على زر فاداره .. وعندئذ غمر الضوء الغرفة .. .

وتلفت حوله .. فرأى باب خزانة أمامه .. فلمعت عيناه
وتقدم منه .. واستعان بعنقود المفاتيح على فتح الخزانة
فالفاها خالية .. ولكنه رأى فى نهايتها تجويفا يمتد منه
سلك غليظ . فادرك ان هذا السلك يصل بين الغرفة
والطاحون ، وانه الوسيلة التى تلجأ اليها العصابة فى نقل
الشحنات المسروقة من السفن المعدة لمثل هذا الغرض
الى ورشة كارترايت حيث يتعهدها الرجل بالتحوير والصياغة
حتى تضيع معالمها الاصلية .. وعندئذ تعرض فى السوق
على انها جواهر جديدة .

واغلق لوبين باب الخزانة ، واطفأ النور .. ثم عاد
ادراجه الى الورشة ، فالفى كل شيء على حالة فيما عدا
كارترايت الذى استرد وعيه ، وكان يئن متألما

وقهقه لوبين ضاحكا ، عندما رأى الفزع يرتسم على وجهه ،
وقال : لا تخف يا صديقى ، فانى لا افتك بالعاجزين .
فقط الزم الهدوء ، وعما قريب اصطحبك معى الى لندن
لانى اريد ان اقدمك لصديق لى يدعى وليامز

ومضى الى الباب المقابل ، وفتحه .. ثم سار فى
دهليز آخر كان يعلم انه يؤدى الى قصر السير هيستنجس
.. ولكن شد ما كانت دهشته عندما وصل فجأة الى بابين
احدهما من البلوط ، والاخر ضخم كبير مصنوع من الفولاذ .

ولم يحاول لوبين فتح الباب الاول لعلمه بانه يؤدى
حتما الى القصر (هول) ، وانما ولى اهتمامه نحو الباب
الفولاذى .. وشرع يجرب المفاتيح التى وجدها فى جيب
كارترايت ، حتى عثر على مفتاح الباب ، ففتحه ولكن
بصعوبة .
وسدد لوبين اشعة مصباحه الى داخل الخزانة الهائلة ..

وفى التو ، أدرك انه وقع على (مصرف) هيستنجس ـ
كارترايت
وغمغم بابتهاج : لطالما وعدت نفسى بدخل كبير يكفل
لى العيش برخاء فى شيخوختى .. ويبدو ان الاقدار
قد حققت آمالى فى النهاية !
ذلك ان الخزانة كانت تحتوى على رزم لا عد لها ولا حصر
من اوراق البنكنوت المتداولة فى انحاء العالم . تقدر
فى مجموعها بمئات الالاف .
وراح لوبين يتأمل هذه الثروة الهائلة بذهول عجيب ..
غير عالم بانه ما كاد يفتح باب الخزانة حتى اضاءت مصابيح
حمراء فى ثلاث غرف من غرف قصر السير هيستنجس :
غرفة المكتبة .. وغرفة توم بريمروز ، وغرفة توم ابيها
ايضا !

الفصل الخامس والعشرون

تطلع ماندفيل ليفنجستون الى زائرته بغضب .. وهتف :
ما معنى مجيئك الآن يا آنسة ؟ ! لقد انتصف الليل او
كاد .. وليس مسيو لوبين هنا . ثم اننى لا اعلم اين هو .
فقاطعته باتريشيا هولم قائلة : ينبغى ان اعلم اين هو
كانت باتريشيا قد قدمت من القصر الى معسكر لوبين
مباشرة ، قاصدة تحذيره .. بعد ان افتضح امرها .. ولكن
شد ما ساءها واحنقها انها لم تجده .. وخشيت ان يكون
قد ذهب للقاء بريمروز بناء على موعد سابق مضروب ..
فيسقط فى احد اشراك المرأة الجهنمية .. ولا يجد من
ينقذه من مخالبها ، وبراثن عصابتها الخطرة .
ومع ان ليفنجستون حرص على الا يفتح لها الباب .
فانها اصرت على الدخول .. ولو عنوة ومن ثم دفعت
الباب بعنف .. ونفذت الى الداخل

واسرع ماندفيل الى غرفته .. وبعد دقيقتين كان قد ارتدى ثيابه ، وتسلح بأحد مسدسات لوبين ، ثم غادر الغرفة المصفحة ، وركض بكل قوته فى اثر باتريشيا حتى لحق بهـا

وبلغا الكوخ اخيرا ، ولم يجدا منفذا غير نافذة غـرفة النوم المفتوحة ، فتسلقت باتريشيا فوق كتفى ماندفيل ووثبت الى اعلى . وتشبثت بقاعدة النافذة ، ثم قفزت الى الداخل

فقال لها ليفنجستون : خير لك يا آنسة ان تأخذى هذا المصباح الكهربائى الصغير .

فمدت يدها وتناولت المصباح . ولكنها رفضت ان تأخذ المسدس .. ثم اضاءت المصباح . فوقـع بصرها على الفراش المهجـور . فغادرت الغرفة ، وهبطت الى الطابق الارضي .. وبعد اربعين ثانية كانت تهبط السـلم المعلق فى جدار البئر . ثم ركضت فى الممر حتى بلغت الورشة . وما كادت ترى كارتريت مشـدود الوثاق ويلقى اسفل الرف . حتى ايقنت من وجـود لوبين على مقربة ..

ورات باب الورشة المقابل مفتوحا . فولجته .. وقطعت الدهاليز ركضا حتى وصلت الى الغرفة التى بها الخزانة .

وكان لوبين فى تلك اللحظة يتأمل محتويات الخـزانة فهتفت قائلة : لوبين ! . كن على حذر .. فاستدار على عقبيه .. ثم غمغم : باتريشـيا !

ــ انك بحاجة الى معونة عاجلة يا صديقى .. لقـد ارسلت اليك تحذيرا فى قرص الزبد صباح اليوم ...

ــ يا الهى ! اذن فقد كنت انت مارى ستيفنز .. نعم .. فهانت ترتدين ثياب الوصيفات .. رباه .. لقـد عرفت كل شيء !

ــ لقد قرقوا حقيقتى الليـلة يا لوبين .. وحـاولوا ان يقتنصونى ولكنى بادرت بالفرار ..

ــ حاولوا ؟ ! من هم ؟

ــ تريفـور وابنتـه

فصاح لوبين بلهجة صارمة : تريفـور .. ومن ؟ اصغى الى يا باتريشـيا .. لقد كان من الحماقة ان تبعثى الى برسالتك فى قرص الزبد . فما كنت اظن ان الغيرة ستدفعك الى اتيـان مثل هذا العمل الاخرق . فانا لا اسعى وراء شيء غير انقـاذ بريمروز من مخالب الوحوش التى اوقعها سوء الحـظ بينهـا .

فنظرت اليه باتريشيا نظرة تدل على فرط الالم والدهشة .. ولزمت الصمت .

واستطرد لوبين : انظـرى الى كل هذا المـال . انى ساستولى عليـه . واهب نصفه للفتاة ، لأنها حقلـة . ولم تستطع لذلك ان تهرب من باردلاو

فهمست باتريشيا : هل انت اعمى يا لوبين ؟ ! ان هذا المـال مالهـا ومال ابيها .. وهى ليست بالملاك الذى تظن .. انها رئيسة هذه العصابة الجهنمية .. وقد حاولت ان تقتلك لليله امس .

فقاطعها لوبين بحدة : لا ريب انك مجنونة يا بات ! لقد انقذت الفتاة حياتى لليلة امس .. بعد ان استطاع ماجور اليها القبض عليها .. ان الفتـاة نقيـة كالزهـرة ! فخير لك الا تسترسـلى فى هذا الحديث لأننى لن اصغى اليك ولكن باتريشيا صاحت مبتهلة : ينبغى أن تصدقنى يا لوبين .. ان الفتاة حية رقطاء .. واؤكد لك انها ستقتلك عندما يقع بصرها عليك لأول مرة

فصاح لوبين : كفى .. كنت اظن انك صديقة مخلصة .. ولكن وا اسفاه ! خير لك ان تبادري بالانصراف

فاطرقت الفتاة برأسها .. وقالت في اسى : حسنا .. لقد انصحت لك عما اعتقد .. واظن انني اديت واجبي !

وتحولت باتريشيا لتنصرف وقد اغرورقت عيناها بالدموع .. ولكن لوبين قبض على كتفها بعنف .. وقال :

– أني لا أسمح لك بالانصراف قبل ان تعتذري عن الاتهامات التي الصقتها ببريمروز !

فتحولت اليه وشرر الغضب يتطاير من عينها .. وصاحت بكبرياء :

– أعتذر ؟ ! اني لا اعتذر لمثل هذه الحية

وعندئذ سمع الاثنان صوتا حادا يصيح : يا الهى يا بريمروز ! الم تسمعي ما فيه الكفاية .. وهل ينبغي ان نقف هنا جامدين لنصغي الى هذا الحديث الوقح ؟ ! ارفع يديك فوق رأسك يا لوبين وحذار ان تتحرك !

ووثب لوبين وباتريشيا جانبا .. وصرخت باتريشيا صرخة تدل على اليأس .. بينما راح لوبين يحدق في المسدس الذي كان السير هيستنجس يصوبه اليه .. وقد وقفت بجواره ابنته بريمروز وهي ترتدي معطفا سميكا

وادار رأس لوبين عندما رأى وجه بريمروز .. وما انعكس عليه من ابلغ معاني القسوة والوحشية المقرونين بالابتهاج والشماتة

وادرك في التو ان باتريشيا كانت على حق .. ولكن بعد فوات الأوان

وقالت من كان يظنها ملاكا : اياك ان تتحرك يا لوبين ! هل تدري ما الذي سأصنع . انني سأسمح لنفسي بلذة قتلك في التو واللحظة !

وانقلبت سحنتها انقلابا خطيرا .. حتى لقد شل تفكير لوبين ازاء هذا التطور المفاجيء

واستطردت بريمروز بهدوء : انى شاكرة لكما اجتماعكما فى مكان واحد .. لأن ذلك سيهون مهمتى . فابتهلا الى الله ان يغفر لكما خطاياكما .. فانني سأمنحكما عشر ثوان فقط ..

ثم ضغطت الفتاة على زناد مسدسها . فانبعث منه دخان ونار . وصوت دوى في ارجاء الغرفة الضيقة كقصف المدافع ..

وفي نفس اللحظة وثبت باتريشيا امام لوبين فاصابتها الرصاصة في صدرها .. فترنحت .. وسقطت فوق الارض جثة هامدة .

الخاتمة

احدثت اصابة باتريشيا رد فعل خطيرا فى نفس لوبين . وزاد جنونه عندما راى الدم يتدفق بغزارة من صدر الفتاة التى طالما شاطرته آلامه ومتاعبه . وختمت جهادها معه بالتضحية بحياتها فى سبيله .

وانحسر عن عقله غشاوته . فندم على اعماله وسوء ظنه .. ولكنه عزم على أن يثأر لها .

واخذ يتقدم من بريمروز .. وقد تألقت عيناه ببريق مخيف . حتى لقد ذعرت الفتاة . وارتجفت يدها . فصاحت بحدة :

– لا تقترب ايها المجنون ! .

ولكنه ظل يتقدم وقد بسط يديه امامه . والتفت اصابعهما بشكل يرسل الرعب فى القلوب كان يعتزم خنقها ..

فاستولى الذعر على الفتاة ، واطلقت عليه النار ، فاصا[illegible] المقذوف في كتفه .. ولكنه ظل يستمر في تقدمه خطو[illegible] فخطوة غير عابىء بالألم الشديد الذي نجم عن المقذوف[illegible] فصرخت بريمروز صرخة مدوية عندما تبينت الجريمة [illegible] نظراته ، وتحطمت اعصابها ، وراحت تطلق النار عل[illegible] غير هدى ، ولوبين يتقدم منها غير عابىء بالمسدس[illegible] حتى لامست يداه عنقها .

فصاح ابوها بصوت مختنق : اركضي يا بريمروز ! .. اركضي ! قف مكانك يا لوبين .

وكان لوبين قد نسي السير هيستنجس ، وعندما التف[illegible] اليه رآه يسدد اليه مسدسه من الخلف

فصاحت بريمروز بصوت اجش : اقتله ايها الاحمق .. اقتله فقد نفد الرصاص من مسدسي !

وفي تلك اللحظة سمع الجميع صوت ماندفيل ليفنجستون يقول ببساطة : اذا اطلق احدكم النار فسأضطر لأن اطلق عليه النار بدوري

ووثب السير هيستنجس من مكانه فزعا . وتطلع الى الباب ، فرأى ليفنجستون واقفا على عتبته وبيده مسدس ضخم ..

ومع ان ماندفيل كان تماما كيف يستعمل المسدس .. الا ان هيئته كانت توحي بانه شخص خطر !

وسمع لوبين باتريشيا تتنهد بخفوت فأدرك انها لا تزال على قيد الحياة . ومن ثم دب النشاط في جسده ، فاستدار على عقبيه وصوب الى فك السير هيستنجس لطمة هائلة سقط الرجل على اثرها فاقد الوعي ..

وتحول الى بريمروز . وهم بأن يجرعها مما جرع ابوها .

ولكنه استنكف الاعتداء على امرأة .. فأمسك بمعصمها وجردها من المسدس ..

وقال ماندفيل : اتركها لي يا سيدي . واعمل على باتريشيا التعسة . واعلم انه اذا حاولت هذه المرأة ان تتحرك . فسأبعث بها الى موطنها في جهنم !

فمال لوبين فوق باتريشيا . وحملها بين يديه بعطف وحنان ولهفة .. ومضى بها من الباب الذي رأى السير هيستنجس وابنته يدخلان منه .. ثم صعد درجا . واجتاز بابا آخر فالفى نفسه في غرفة المكتب بقصر تريفود . ولكنه لم يتوقف . وانما مضى يحمله الى حظيرة القصر فوضع باتريشيا في مقعد سيارة السير هيستنجس الخلفي . ووثب الى مقعد السائق .. ثم انطلق بأقصى سرعة الى مستشفى سندبري . فلما بلغها ، اوقف السيارة .. وهبط منها . ثم حمل الفتاة الجريحة بين يديه برفق .. ودخل المستشفى . فما كادت الممرضة المنوبة تراه حتى صرخت من فرط الذعر ..

فغمغم لوبين قائلا : اين الطبيب ؟ ان الفتاة التعسة مصابة بجرح من مقذوف ناري في منطقة القلب . فبحق السماء انقذوا حياتها !

وحملوا باتريشيا الى قاعة العمليات . وخرج لوبين الى العراء كالمشدوه . ولكنه سرعان ما عاد الى المستشفى ليطمئن على سلامة صديقته . وعند الباب التقى بالمفتش وليامز .

وما كاد وليامز يرى حاله .. حتى صاح : يا الهي ! ما هذا يا لوبين ؟ ! لقد رأيتك تقود سيارة كبيرة منذ لحظات فتبعتك .. ونظر اليه لوبين كالحالم ، وقال : اهذا انت يا بيل !

ووقع بصر المفتش على الدماء الغزيرة التي كانت تنزف من جرح لوبين فهتف :

ـ يا إلهي ! إنك جريح يا رجل ! ماذا حدث لك بحق الشيطان ؟

فقال لوبين متعجبا : جريح ؟ ! احقا ؟ ! خير لك ان تذهب الى قصر السير هيستنجس .. وستجد بابا سريا مفتوحا في غرفة المكتبة يؤدي الى ممر طويل ينتهي الى غرفة سوف تجد ليفنجستون بداخلها . وما احسب الا انه بحاجة ماسة الى معونتك العاجلة .. واما انا فسابقى هنا لأن باتريشيا ...

وتحول لوبين فجاة .. وقد استولت عليه نوبة جديدة من القلق .. وارتقى الدرج وثبا .

ولم يكن المفتش وليامز بحاجة الى الاستزادة من الحديث .. فقد تكهن بباقي القصة .. فسرعان ما عاد الى مركز البوليس وهناك اصطحب المفتش مارشال الى قصر السير تريفور

واقبلت الممرضة على لوبين .. وقالت له مواسية : لقد اجرى الطبيب عملية جراحية لصديقتك واخرج الرصاصة .. واظن ان هناك املا في شفائها .

وقادته بدوره الى غرفة العمليات .

«*»

وبعد كفاح رهيب بين الحياة والموت اجتازت باتريشيا هولم منطقة الخطر واخذت في النقاهة

وكان لوبين قد برىء من جروحه .. فلما اذنوا له بمقابلة باتريشيا .. الفاها ممددة في الفراش وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة سعيدة .. فجلس بجوار الفراش .

همست قائلة : كيف حالك يا لوبين ؟ لقد قال لي الطبيب انني نجوت بمعجزة !

ـ يا الهي ! كم كنت احمق يا عزيزتي .. فارجو صفحك ! فجذبته نحوها وقبلته .. وبذلك نسيا ما مضى .

«*»

وجاء وليامز لزيارة لوبين في الليلة السابقة لمغادرة المستشفى .

وقال له : اني مسرور يا لوبين لنجاتك ..

فحدجته بنظرة تنطوي على الخبث .. وقال : احقا ! ؟

فتجاهل المفتش تعليق لوبين على قوله ، واردف : لقد قبضنا على تريفور وابنته وكارتريت واما داوس فكان موجودا في المستشفى وقتئذ ، فقد سمعت أن صديقتك باتريشيا قد سقته جرعة هي اقل مما يستحقه امثال هذا الشرير

وابتسم لوبين ، وهز رأسه تقديرا لمجهودات الفتاة ، واستطرد وليامز :

ـ ولقد وجدنا الادلة التي تدين افراد هذه العصابة الجهنمية . كما عثرنا على عشرات من قطع الجواهر التي اختفت من انجلترا خلال العامين الاخيرين .. ولكني لم اجد اثرا لجواهر فندق سوبريم وجواهر الليدي ديلكوت ، فلعلنا نعثر عليها فيما بعد ، وفوق ذلك ، عثرت على مفكرة في درج مكتب السير هيستنجس تحتوي على اسماء المساعدين والمأجورين ، واستطعنا ان نلقي القبض عليهم جميعا .

فابتسم لوبين مرة اخرى .. وقال : ان الجواهر التي سرقت من فندق سوبريم والليدي ديلكوت موجودة الآن

فى حراتى ، اننى لم اكن اقصد الاحتفاظ بها لنفسى بالطبع
لكن لماذا بحق الشيطان تصدع راسي بكل هذه السفسطة؟
وادرك المفتش ان لوبين يتالم كلما تذكر الحوادث المؤسية التى وقعت له خلال هذه المغامرة الرهيبة .. فتركه لافكاره وانصرف .

وفى عصر هذا اليوم ، عاد لوبين الى معسكره فاستقبله ليفنجستون بابتهاج ، وقال له :

— سيدى ، يوجد هنا شيء فى انتظارك !

وما كان لوبين يدخل الى الغرفة الصغيرة حتى راى اكواما من اوراق البنكنوت تقدر قيمتها بمائة الف جنيه مكدسة فوق منضدة جانبية

والتفت لوبين الى خادمه متسائلا ، فقال هذا :

— الا تعتقد ان هذا المبلغ يوازى بعض مالنا من اهوال يا سيدى !

فابتسم لوبين ، وقال : كنت اعتقد انك مغامر مثلى منذ الوهلة الاولى ، مهما يكن ، فان فقدان هذا المبلغ لن يضير العدالة .. بل ان المفتش وليامز لا يبالى بفقدانه قد وضع يديه اخيرا على افراد تلك العصابة الجهنمية

وتصافح الرجلان فى حرارة .. وقد تألق البشر على وجهيهما !!

« تمت قصة المعجزة »

ان تشنق مرتين

— ١ —

اقبل خادم الفندق بعد ان سمح له ارسين لوبين بالدخول وقدم له بطاقة زيارة وهو يقول :

— ان صاحب هذه البطاقة يلح فى طلب مقابلتك ياسيدى؟
فقاطعه لوبين قائلا :

— ولكن الم اقل لك انى متعب ولست اريد ان اقابل احدا من الزائرين مهما الح والحف ...

فاجاب الخادم متلعثما :

— لقد حاولت يا سيدى ان اصرفه ولكنه اصر على ان يبقى فى ردهة الاستقبال حتى تعود ، ومن ثم لم ار مناصا من ان احمل اليك بطاقته فلربما بدلت رايك ..

وتناول لوبين البطاقة مبتسما وهو يعلم فى قرارة نفسه ان الخادم الفتى لم يقدم على هذه المجازفة الا بعد ان وصله الزائر بمنحة مغرية ، والقى نظرة على البطاقة واذا بها :

« ايرابنيت — وكيل اعمال »

وصمت لوبين برهة واذا بالخادم يعاود الحديث قائلا :

— .. وهو يرجو يا سيدى ان تكون المقابلة خاصة .. وفى حجرتك ...

فابتسم لوبين وقال :

— اوه .. هكذا .. ولكن ما شكله ..؟

فاسرع الخادم يقول :

قصير القامة ، نحيف القوام ، حسن الهندام ..

فقال لوبين مازحا :

— اذن فلا خوف على حياتى من ان انفرد به فى الحجرة...!

فانطلق الخادم يدافع عن الزائر قائلا :

– كلا يا سيدى .. فلا يبدو عليه الشر مطلقا . بل على النقيض من ذلك يبدو مكتئبا حزينا .. وزيادة فى الاحتياط ساظل على مقربه من بابك يا سيدى لأخف لنجدتك اذا ..

فقهقه لوبين قائلا :

– اذا استغثت .. أليس كذلك .. ؟ لابد وان المنحة التى نفحك اياها كانت مغريه الى به يا توم ..

وما هى الا دقائق حتى دخل الحجرة رجل لا يختلف فى كثير كما وصف الخادم الفتى ، ودعـــاه لوبين للجلوس ثم سأله :

– اى خدمه يمكننى أن أقوم بها يا مستر .. ايرا .. بنيت .. !

فسعل الرجل قليلا ثم اجاب :

– لقد جئت لاستشارتك فى امر مهم يا مستر لوبين وذلك لما أعهده فيك طبعا من سعة الحيلة والمشورة الصائبة .. فقد قرأت عنك فى ..

فقاطعه قائلا :

– شكرا . شكرا . دعك مما قرأت .. اى خدمة .

وعاد الرجل يسعل ثم اجاب :

– هل لى أن أبدأ بمقدمة وجيزة .. ؟

– لك مطلق الحرية فى أن تتكلم بما تشـــاء وحكمى على موضوعك يتوقف الى حد كبير على ما سأسمعه منك ..

فقال مستر بنيت :

– لنا عم يدعى تيموثى بنيت .. انقطعت أخباره عنا منذ خمسة عشر عاما وظننت وأخى والاس انه قد مات .. ولكننا اخطأنا التقدير ، اذ عاد عمى تيموثى منذ عام تقريبا

فسأله لوبين :

– واين كان ؟ ..

فاجاب الرجل :

– كان فى استراليا حيث جمع ثروة ضخمة .. .

– وهل هناك من يرثه الا انت واخوك والاس ؟

– كلا .. فليس لنا أو له من الاقارب على قيد الحياة احد .

– جميل .. وبعد ؟ ..

وتريث مستر ايرا حتى ازدرد لعابه ثم استأنف :

– عاد عمى فاحسنت استقباله ودعوته للنزول فى ضيافتى . والحق أقول له يا مستر لوبين ان عودته من استراليا كانت لنا بمثابه نجدة الهيـــة ، أو هكذا قدرنا ، لاننى عانيت فى أعمالى خسائر متتالية ، فضلا عن ان والاس كان بدوره يعانى ازمه مالية حادة .

– وهل يقيم والاس معك ؟ ..

– كلا .. بل فى بيت مستقل .. مع زوجته وشقيقتها .. ولكن للاسف ذهبت آمالنا ادراج الرياح ، فقد عاد العم العجوز من استراليا وقد تمكن منه الشح والتقتير لدرجة تثير الاعصاب ، فأودع ثروته الطائلة مصرفا لا نعلمه وحرر وصية لا ندرى عنها شيئا ، واكتفى من ذلك كله بأن صارحنا بانه ترك لنا كل شيء مناصفة فى هذه الوصية .

– وهل تطمعان فى اكثر من ذلك ؟ ..

– كلا مطلقا .. فالعم تيموثى عليل . ويكاد يلازم فراشه باستمرار ، وتضيق نفسه باقل الاشياء واتفهها ، ولست أقدر أن يمتد به العمر اكثر من عام واحد ، وصبـــر عام او عامين تعقبه ثروة واسعة ليس بالتكليف الذى يشـــكو منه الانسان ..

– وما شكواك إذن ؟ ..

فقال ايرا بنيت وهو يعبث بحافة قبعته :

ـ قلت لك اننى دعوت عمى تيموثى للنزول فى ضيافتى بمجرد وصوله ، وقد لبى الدعوة بارتياح ، وبعد ان أمضى شهرين فى ضيافتى اغراه أخى والاس بالانتقال الى داره لينال حقه من ضيافته ، ولم يتردد العم تيموثى فى قبول الدعوة حتى لا يغضب والاس وزوجته الجميلة التى الحت مرارا فى ضرورة انتقاله الى دارهم .

وما كنت لا بالى بذهابه الى بيت اخى وبقائه فيه ما دامت الصلة الودية مستمرة بيننا ، ولكن هذه الصـــلة لم تمتد لاكثر من أسبوع واحد ثم انقطعت ، وكلما ذهبت لزيارته فى بيت والاس لقيت صدا من الجميع .. واخـــذوا ينتحلون الاعذار المختلفة ليحولوا دون رؤيتى عمى . فتارة يعتذرون بمرضه ، وتارة أخرى بخروجه .. وهكذا ..

وتصور يا مستر لوبين اننى لم أره منذ احد عشر شهرا .

فقال له لوبين :

— وما الذى تخشاه بعد ان أوصى له بنصف ثروته ؟

فمد الرجل يديه كالمتضرع وقال فى صوت أجش أشبه شىء بحشرجة ميت يوشك أن يلفظ انفاسه الاخيرة :

— أخشى ان تتبدل الوصية يا مستر لوبين ؟ ..

— كيف ... ؟

— لقد اقام العم تيموثى فى منزل والاس ما يقرب من العام معززا مكرما تجاب طلباته فى لمح البصر ، اجمر الذى يتفق وشحه وتقتيره ، ولا يعلم احد سوى الله الى متى تمتد هذه الحالة .. لذلك لست استبعد مطلقا ان يغـــريه والاس او زوجته .. أو حتى شقيقتها ـ وهى لا تقل عنها جمالا ودلالا ـ بتبديل الوصية لصالح والاس بمفرده ..

— وهل يقدم عمك على هذا التبديل عن طيب خاطر ..؟

فأجاب مستر ايرا وهو يهز كتفيه :

— وماذا يمنعه .. لقد لقيت عنده الشحيحة من كرم والاس وبذخه ما استراحت له فلماذا لا يكافئه ..؟!

فمرى لوبين براسه قليلا ثم سأله :

— الى شىء من التفاصيل ..؟

— كلا .. هذا كل ما فى الامر ..

— والآن ماذا تريد منى ..؟

فسعل ايرا بتثبت ثم قال :

— لست اريد اكثر من أن تزور اخى والاس وتقابل العم تيموثى وتطمئن على صحته .. وايضا تطمئن الى ان الوصيه لم يحدث فيها اى تبديل . قد تظن هذا الامر ميسورا .. ولكنك تخطىء يا سيدى فدون مقابلتك خرط القتــــاد .. سينتحلون الف عذر وعذر ..

فابتسم لوبين وقال :

— انك تشوقنى لقبول هذه المهمة ..

— بل ذكرت لك الحقيقة يا سيدى .

فقال له لوبين مطمئنا :

— مهما يكن فلدى الوسائل التى تمكننى من الزيارة

فسأله ايرا باهتمام : هل ستقتحم المنزل ليلا يا مستر لوبين ؟ ..

فأجاب على الفور :

— كلا .. كلا .. فالامر أيسر من ان يحتاج لمثل هـــذا العناء ، سأزور منزل اخيك نهارا وسأقابل عمك تيموثى فى نفس الوقت واظفر منه بحديث طويل يشمل الرد على جميع الاسئلة التى تريدها .

— انك تثير دهشتى يا مستر لوبين هل لى ان اعرف كيف ؟ ..

— الامر فى منتهى البســاطة .. ســـأتريث اياما حتى

تعلن الصحف خبر وصول احدى بواخر الركاب من استراليا، ثم اسرع لمنزل اخيك والاس منتحلا شخصية صـــديق قديم لعمك عاد من استراليا ويريد ان يتحدث اليه فى شئون هامه خاصه به .. ولن ابث ان احظى بالزيارة على الفور ..

فقال ايرا بنيت وهو يفرك يديه فرحا :

ـــ فكرة جميلة يا مستر لوبين وارجو ان تتحقق .

ـــ ستحقق ، واذا أعوزنى الامر ان الجا لغيرها فما زالت القريحه يقظه تسعفنى بكل ما اريد .. فاطمئن ..

واختفت الابتسامه من وجه الرجل ثانيه وهو يقول :

ولم ستكلفنى هذه الخدمه يا مستر لوبين ؟

فاجاب هذا مبتسما :

ـــ لا داعى لان تكتئب .. فلقد اســـعفتنى عن ظروفك الماليه ما فيه الكفاية ولن اتقاضى منك عن هذه المهمة شيئا .. فقط اعطنى عنوان اخيك .

※※※

وبعد أيام قلائل كان لوبين يقرع جرس باب مستر والاس بنيت الذى يقع فى حى منعزل اختصت به الطبقات الراقية ، وفتح الباب بعد قليل واطل منه خادم فى سترة رسمية جامد الوجه غائر العينين ، وقال :

ـــ ماذا يريد السيد ؟

فاجاب لوبين فى شىء من الانفة :

ـــ أريد ان اقابل مستر بنيت الكبير .. تيمونى بنيت .

فاجاب الخادم فى شىء من التردد :

ـــ انه الآن فى فترة الراحة يا سيدى ولا يقابل احدا ..

ـــ ولكنى قدمت من مسافة بعيدة والامر بالغ الاهمية ..

وسكت قليلا ثم اضاف :

ـــ وسيهتم بمقابلتى بلا شك عندما يعلم أننى قادم من استراليا ، واود ان احدثه فى شأن ممتلكاته هناك ..

وبدت الحيرة على وجه الخادم وقال :

ـــ سابلغه ذلك يا سيدى ..

واغلق الباب على الاثر ، وغاب قليلا ثم عاد ففتحه وقال وهو يشير الى لوبين بان يدخل :

ـــ اننى آسف يا سيدى ، فقد وجدته نائما ولا سبيل الى اقلاق راحته مطلقا ، ولكن مستر والاس .. ابن اخيه .. فى انتظارك .. فتفضل ..

وشكره لوبين وتبعه فى هدوء وقد اكتفى بهذا النصر المؤقت ما دام قد تمكن من الدخول الى المنزل فلن يعوزه عذر آخر يمكنه من مقابلة العم الكهل ..

وقاده الخادم الى حجرة الجلوس حيث اتخذ مكانه فيها ، ولم يلبث قليلا حتى وافاه رجل قصير القامة نحيل الجسم حسن الطلعه ، لم يتردد فورا فى أن يتلمس الشبه الكبير بينه وبين ايرا بنيت ..

اقبل والاس بنيت مسرعا وصافح لوبين فى شوق متكلف وقال له وهو يهز يده فى عنف :

ـــ مرحبا .. كيف حالك يا مستر ... ؟

ثم دعاه للجلوس وهو يتابع حديثه ..

ـــ هل قدمت من استراليا ..؟

فاجابه لوبين وقد لاحظ السرور الشائع على قسمات وجهه:

ـــ أجل .. قدمت بعد ظهر أمس ..

فسأله وهو يفرك يديه جذلا :

ـــ هل أنت شريك العم تيمونى .. أم ...

وابتسم لوبين وهو يهز رأسه قائلا :

ـــ كلا .. ليس بهذا المعنى تماما ، ولكنى جئت ببعض

المعلومات الهامة التى يجب أن يعرفها .. وبسرعة ..
وأطرق والاس برأسه برهة طويلة ثم رفع بصره الى لوبين وقال :
ــ سأفعل كل ما يمكننى لاقنعه بمقابلتك ، ولكن اصارحك القول باننى لست واثقا من النجاح ..
وبدت على لوبين آثار الدهشة وهو يقول :
ــ ولم .. ان الامر يهمه جدا !
فهز والاس كتفيه واجاب :
ــ ان العم تيموثى ــ ولابد انك تعلم ــ غريب الاطوار فى بعض الاحيان شديد المراس والعناد ، ولست انكر انه متمالك قواه العقليه تماما ، ولكن تصيبه فى بعض الاحيان نوبات عصبية تجعله غريب الاطوار لدرجة تثير الدهشة ــ بمثل ما يحدث للمرضى المسنين ..
فقال لوبين فى هدوء :
ــ هل رفض ان يقابلنى عندما اخبره الخادم ؟
فقال والاس معترفا :
اجل .. رفض للاسف ..
فنهض لوبين من مكانه دون ان يبدو على وجهه ما اعتراه بعد هذا الرفض ، الا ان والاس اسرع يقول له :
ــ انتظر .. انتظر ، قلت له اننى سأبذل كل ما في وسعى لاحمله على تغيير رأيه وربما اذا ..
وبدا الحذر فى عينيه فجأة ثم استأنف :
ــ أتريد ان تبيعه شيئا ؟ ..
فأجاب لوبين فى حزم : كلا ..
فاختفى وميض الحذر من عينى بنيت ثانية وهو يقول :
ــ اذن دعنى أحاول ان أثنيه عن عناده .. لحظة واحدة

وقبل أن ينهض من مكانه اندفعت الى الحجرة امرأة فى مقتبل العمر ترتدى ثيابا منزلية انيقة وكانت تصيح :
ــ والاس .. ان هذا العجوز الاحمق ..
وتوقفت عن الحديث فجأة عندما رأت لوبين ، الذى هب مع والاس واقفين لدخولها المفاجىء ، وقال لها الثانى متلطفا :
ــ جريس .. دعينى أقدم لك مستر .. مستر .
فقال لوبين متداركا :
ــ سميث .. هنرى سميث من استراليا .
فاستأنف والاس :
ــ آه .. مستر سميث .. وهذه شقيقة زوجتى الآنسة جريس كورت ! ..
والحنى لوبين فى أدب بينما ضحكت جريس ضحكة قصيرة بشيء من الكلفة وقالت :
ــ معذرة يا مستر سميث لاقتحامى الحجرة بهذه الطريقة
وكانت جريس فارعة القوام ، زرقاء العينين ، سمراء البشرة ، تتدفق الدماء فى وجنتيها لتعوضها ما فقدته من تناسق فى ملامح وجهها ..
وابتسم والاس فى رقة وسألها :
ــ والآن ما سبب هذا الانفعال ... ؟
وكست وجهها سحابة من الغيظ وكانت على وشك ان تتكلم لولا انها امسكت عن ذلك ثم نظرت الى لوبين وقالت :
ــ ولكن يجب الا نضايق مستر سميث بمسائلنا العائلية التافهة ..
وتوقفت عن الحديث وبدا عليها التردد ، وأراد لوبين ان ينقذ الموقف فانحنى لها ثانية وهو يقول :
ــ بالتأكيد .. بالتأكيد .. شكرا يا سيدتى .
ثم التفت الى والاس وقال له :

— اتسمح بأن أذكرك بما وعدتني ..
فقال هذا معتذرا :
— أوه .. طبعا .. لن اغيب لحظة واحدة .
وغادر الحجرة يصحب جريس كورت ..
وخطا لوبين على أطراف قدميه نحـــو الباب المفتوح الذي خرجا وأرهف اذنيه ومد سمعه مدا ، ولكنه لم يسمع سوى وقع خطواتهما مبتعدة نحو الدرج حتى تلاشت وساد السكون .
وفيما كان لوبين يقف في مكانه كالحالم يفكر في الخطوة الجديدة التي يقدم عليها ويعد لكل احتمال ينتظر عدته اذ به يسمع فجأة صرخة منكرة تدوي في ارجاء البيت .. صرخة فزع حادة .. كلها رعب وفزع .. تنبعث من سيدة .
وقبل ان ينفذ من الباب .. دوى في المكان صوت طلق ناري اهتزت له الجدران ، وأدرك لوبين من شدته انه اطلق داخل المنزل .
خرج لوبين الى الدهليز ورأى على بعـــد عشرين قدما من الباب سلما يتجه الى الطابق الاعلى ، فأسرع نحوه واخذ يرتقي درجاته بسرعة حتى بلغ نهايتها ثم انثنى الى اليسار ليرى مسرح الجريمة ..
شاهد امرأة ممدودة على الارض ، مستلقية على ظهـرها ، وقد ركع والاس بثيت بجوارها وامسك احدى يديها وهو يبكي ويندبها متحسرا في صوت مكلوم :
— مولي .. مولي .. حبيبتي . زوجتي العزيزة
وجثت بجواره جريس كورت والدمع ينهمر من عينيهـا في غزارة تبكي شقيقتها القتيل .
وكان وجه الشبه بينهما كبيرا الا ان مولي القتيل كانت تكبر شقيقتها جريس بشكل ملحوظ كما كانت تبدو على قسمات وجهها علامات القسوة والحزم .

وقال والاس بثيت منتحبا وهو يرفع وجهه الشاحب متطلعا الى لوبين وكأنه لا يصدق ما يقول :
— لقد ماتت .. لقد قتلت ..
واقترب لوبين من الجثة الممدة على الارض وبنظرة واحدة رأى ثقبا مستديرا في ثوبها فوق موضع القلب تماما والدماء تنزف منه في غزارة وتنتشر في الثوب .
— ومال لوبين نحو جريس ولمس كتفها وقال لها مسرعا وفي اقتضاب :
— البوليس .. المستشفى .. اتصلي بهما تليفونيا .
وهبت جريس واقفة وانطلقت تعدو نحو الدرج وكأنما كانت ترجو لاختها حياة من هذه النجدة .. وما ابتعدت حتى سأل لوبين والاس في هدوء
— من فعل بها ذلك ؟..
وقطع عليه حديثه صوت انه ضعيفة صادرة من ورائه .
واستدار بسرعة ، فاستطاع ان يرى من خلال باب مفتوح رجلا مسنا يرتدي (بيجـــاما) بيضاء ملقى عـــلى فراش في وضع عرضي وقد تدلى رأسه وكتفاه واحدى ذراعيه ، بينما وضع يده الاخرى على عنقه ..
وانبعثت من الكهل أنة ثانية وتحركت أجفانه قليـــلا ..
وأسرع اليه لوبين فرفع رأسه وأسنده الى الوسادة ثم رفع يده عن عنقه فبدا محمرا مثخنا بالجراح .
كان الرجل نحيفا ، وجهه مليء بالتجاعيد ، مما يجعل سنه تبدو اكبر من حقيقتها .
ورأى لوبين كوب ماء على منضدة مجاورة للفراش ، فأسرع اليها واخذ يرش منها وجه الكهل حتى تحركت اجفانه ثانية ثم انفتحت عيناه وندت منه زفرة طويلة حادة .
ومال اليه لوبين وسأله في رفق :

— ماذا حدث ... ومن فعل ذلك ؟..
وأخذ الرجل يحرك عينيه وقد بدتا محمرتين من اثر الاختناق ثم شرع يتكلم وهو يلهث في صعوبة ظاهرة ..
— انه رجل ..
ووقع يده يتحسس عنقه الرفيع ، ثم انتابته نوبة سعال شديدة متواصلة .. وظن لوبين ان بالرجل صمما ، فمال نحوه ثانية حتى أوشكت شفتاه ان تلمسا اذنه وسأله :
— وأين ذهب ...؟
وتحركت يد راعشة مرفوعة في ضعف لتشير الى الجهة الخلفية من المنزل ، ثم هوت ثانية فوق الفراش ..
وغادر لوبين الحجرة عائدا الى الدهليز فوجد الخادم الذي فتح له الباب وكذا خادمتين أخريين وقد لحقوا بالاسى بثيت ووقفوا جميعا حول الجثة يبكون وينتحبون وقال لوبين موجها الحديث اليهم جميعا :
— من فعل ذلك .. ألا يدري أحدكم ؟..
وأخذ كل منهم يلتفت نحو الآخرين في ذهول ، واستبد الغيظ بلوبين وصاح بهم :
— ليلحق احدكم بمستر تيموثي العجوز ويسهر عليه فقد وقع عليه اعتداء بالمثل .
ونهض مبتعدا عنهم وسار في الاتجاه الذي أشار اليه تيموثي الكهل ، فوجد سلما خلفيا في نهاية الدهليز ، وهبط مسرعا فاذا به يؤدي الى حجرة ملحقة بالمطبخ فمر منها الى المطبخ ولم يجد احدا به ..
وكان باب المطبخ مغلقا ، ولكنه عندما دفعه انفتح في سهولة اذ لم يكن مقفلا بالمفتاح او الرتاج . ومر منه الى فناء ضيق عبره الى بوابة مفتوحة بعض الشيء ولم يجد بالمثل احدا في الممر الواقع خلفه ..

وعاد لوبين ادراجه وقد تبين ان الطريق معد فعلا لفرار الجاني دون ان يعترضه أو يراه أحد ، وظن ان من يسلك هذا الطريق لابد وان يكون خبيرا ملما بمداخل المنزل ومراتعه ..
وعندما عاد لوبين الى المنزل وجد الدهليز يعج برجال الشرطة وقد انحنى الطبيب الشرعي فوق الجثة يفحصها ، ولم يلبث ان نهض وهز رأسه متأسفا وقال وهو يشير الى الثقب الذي احدثته الرصاصة في القلب ..
— كانت ضربة قاتلة قضت عليها في الحال ..
ثم التفت الى مفتش البوليس داندي الذي نيطت به الجريمة وقال له :
— أتريد مني شيئا آخر .. الآن .. ؟
فأجاب المفتش :
— كلا يادكتور .. سأكتفي بتقرير التشريح النهائي في حينه ..
ولكنه لم يلبث ان استدرك قائلا :
— هلا يمكننا معرفة عيار المسدس ؟
فقال الطبيب :
— طبعا .. عيار ٣٨ ز بكل تأكيد
— شكرا يا دكتور ...
ثم أمر بحمل الجثة ، فتقدم رجال الطبيب الشرعي بمحفتهم وحملوها وسار الطبيب منصرفا في اثرهم ..
ودعا المفتش داندي الجميع الى الهبوط الى الطابق الارضي والانتظار في الدهليز تحت رقابة البوليس ريثما يستجوبهم فردا فردا .. ثم أمر رجاله بالانتشار في البيت بحثا عن آثار أيا كانت ..
واتخذ المفتش مركزه في حجرة المكتبة الموجودة في الطابق العلوي ، وجلس الى المكتب الانيق الذي يتوسطها وجلس الى

بجواره مساعده الجاويش بولهاوس وهو رجل ضخم الجثة يرتدى ثيابا سوداء يعلو الاعمال على كل قطعة منها .

وكان الليل قد ارخى سدوله وسادت الظلمة الطرقات فى الخارج ولم يكن ينبعث منها ضوء الا من مصباح واحد يقع فى نهاية الطريق العام ..

واستقبل المفتش لوبين ودعاه للجلوس ، فتمدد فى مقعد وثير فى مواجهة المكتب وقد سقط على وجه الضوء المنبعث من مصباحه ، وبدأ المفتش اسئلته قائلا :

ـ هل لى ان أعرف سبب وجودك هنا يا مستر لوبين ؟..

واخذ لوبين يقص عليه الاسباب التى دعته لزيارة منزل والاس بنيت ، وظل المفتش ومساعده ينصتان اليه باهتمام حتى اتم حديثه قائلا :

ـ ومن ذلك ترى ان كلا من الاخوين يفضل لو اصبح الوارث الوحيد للعم تيموثى وثروته الطائلة ، لان هذا معناه مضاعفة نصيبه من الارث بطبيعة الحال ، وهكذا بدأ كل منهما يحاول الوصول الى قلب الرجل والحصول على رضائه ، ولعل هذا التسابق الى مرضاته قد لقى ترحيبا من العم نفسه لانه بطبعه مقتر وشحيح ، وكان ايرا ينتحو السابق،فاستضاف عمه شهرا ، الا ان والاس لم يلبث ان استرد مركزه بان ظل يلح وزوجته المجنى عليها على العم حتى انتقل لضيافتهما ، ومنذ وصل الى هذا المنزل انقطعت اخباره عن ايرا ولم يتمكن من رؤيته او الاتصال به .

فسأله المفتش داندى :

ـ وهل صارحك ايرا عندما عهد اليك بهذه المهمة انه يخشى على حياة عمه ..؟

فأجاب لوبين :

ـ كلا .. لست اعتقد ان ايرا يخشى شيئا من هذا القبيل

وغاية ما يخافه هو أن يحرم من الميراث عن طريق الضغط على عمه أو الدس له لديه ..

ـ لذلك كان جل اهتمامه ان يتسقط اخبار عمه ويتبين ما اذا كان والاس او زوجته بذلا اى مجهود فى هذه الناحية .

ـ والى اى شىء كنت تهدف من وراء مقابلة تيموثى ؟..

ـ كنت اريد ان احدثه على انفراد ولو لمدة قصيرة استوضحه نواياه بالنسبة لابن اخيه الآخر ايرا ..

فسأله بولهاوس :

ـ وقد رفض ان يقابلك اذن ؟ ..

فأجاب لوبين مصححا :

ـ هكذا اخبرنى والاس ..

ـ واين ايرا بنيت الآن ..؟

فأجاب لوبين فى صراحة :

ـ وددت لو أعرف مكانه .. ولست اقل شوقا منك فى هذه الرغبة فقد اتصلت بمنزله وكذا بمكتبه فلم اجده وطلبت ان يكلف بالحضور الى هنا فورا بمجرد عودته ..

فقال له المفتش داندى :

ـ الم تحصل من العجوز تيموثى على معلومات اكثر مما سمعته ؟ ..

فأجابه لوبين :

ـ كلا .. لاشىء اكثر من ان المعتدى عليه كان رجلا وانه فر متجها نحو السلم الخلفى .. وما كانت حالته فى ذلك الوقت تسمح باكثر من ذلك .. فضلا عن انى كنت مضطرا للاسراع فى الاتجاه الذى اشار به كى اتعقب المجرم الفار ..

فالتفت المفتش الى مساعده وقال له :

ـ اذهب اليه فى حجرته ، وحاول ان تحصل منه على معلومات جديدة يا بولهاوس

وبعد ان انصرف المساعد التفت المفتش الى لوبين وسأله :

ــ الديك معلومات اخرى ؟..

ــ هذا كل ما لدى ..

ــ اذن لنبدأ بسماع أقوال الآخرين ، ويهمني جدا ان تظل معنا يا مستر لوبين حتى نهاية التحقيق ..

ــ لن اتردد فى تقديم اية معونة ممكنة كما تعلم ، فارتكاب جريمة فى المنزل اثناء وجودى فيه اعتبره تحديا موجها الى بالذات ..

فضحك المفتش وقال :

ــ هذا اذا كان المجرم يعلم سلفا انك موجود .

وضغط المفتش جرسا فاقبل للتو أحــد رجال الشرطة ، وقال له المفتش :

ــ استدع مستر والاس بنيت ..

واقبل والاس بعد قليل وكانت آثار النكبة التى حلت به ما زالت ماثلة على قسمات وجهه .. وبعد ان اشار المفتش بالجلوس بدا يسأله :

ــ اين كنت ساعة صدور الطلق يا مستر والاس ..

ــ كنت فى حجرتي يا سيدى المفتش ..

ــ وهل تطل على الدهليز الذى وجدت فيه الجثة ؟..

ــ أجل يا سيدى ..

ــ وماذا حدث بعد ذلك ؟..

فتريث والاس قليلا ثم اجاب :

ــ كان من الطبيعى ان تنهار اعصابى وظللت لحظة طويلة مضطربا لا ادرى ماذا أعمل .. ثم اســـتجمعت قوتى التى بددتها الفاجعة وخرجت الى الدهليز .. فاذا بى أرى جثـــة زوجتى العزيزة ممددة على الارض فاقدة الحراك ..

فسأله المفتش :

ــ لقد غادرت مستر لوبين ــ او مستر ســميث كما اوهمك ــ وصعدت لتقنع عمك بمقابلته .. أليس كذلك ؟ ..

ــ أجل تماما ..

ــ وهل قصدت الى حجرة العم مباشرة ؟ ..

فقال والاس متلعثما :

ــ كلا .. خرجت وكانت معى الآنسة جريس شــقيقة زوجتي وصعدنا السلم سويا ثم افترقنا فى الدهليز كل الى حجرته ..

ــ وهل كان أحد فى الدهليز ؟ ..

ــ كلا .. لم أر أحدا ..

ــ ولم بقيت فى حجرتك منذ دخلتها حتى سمعت صوت الطلق ؟..

ــ دقائق معدودة ..

فقال له لوبين مقاطعا :

ــ معذرة يا مستر والاس ، لماذا لم تقصد الى حجرة العم مباشرة ؟ ..

فتطلع اليه والاس وقال :

ــ وهل من الضرورى أن أجيب عن هذا السؤال ؟..

فقال له المفتش :

ــ اذا شئت .. ولست ارى ما يدعو لاخفـــاء شىء فى نفسك طالما انك تشاطرنا نفس الهدف وهو الوصـــول الى الجانى الذى قضى على زوجتك العزيزة ..

فقال والاس :

ــ ليس أحب الى قلبى من ذلك يا سيدى ، والحقيقة انى اردت ان اخلو بنفسى فى الحجرة لبعض الوقت ادبر وسيلة لاقناع عمى بمقابلة هذا الزائر .. لانه عنيد صلب الرأى ونحن جميعا يهمنا ان نرضيه لكبر سنه ..

فقال المفتش :

ـ حقا .. وبهذه المناسبة الى من تؤول ثروة العم تيموتي بعد وفاته يا مستر والاس ؟ ..

فحدج والاس المفتش بنظرات مستريبة وقال له :

ـ لقد ذكر لي مرة وعلى مسمع من اخى ايرا ، انه حرر وصيته لصالحنا ووصى لي ولاخى بجميع املاكه وثروته مناصفة .. ولم نطرق هذا الحديث بعد ذلك مطلقا ..

ـ او لم تطلع على الوصية ..؟

ـ كلا .. لم يطلعني عليها .. ولم اسأله ذلك بطبيعة الحال .

ـ أتعلم انه بدل فيها أخيرا ..؟

ـ لست أعلم شيئا من ذلك ..

فسأله لوبين منتهزا الفرصة :

ـ الم يصارحك بانه قد يبدل فيها ؟ ..

ـ كلا .. لم يصارحني بشيء من ذلك .. والحقيقة انني اتجنب محادثته في مثل هذه الامور حتى لا يظن شيئا ..

ـ حسبنا هذه المعلومات الآن يا مستر والاس . وشكرا .

واقبل في تلك اللحظة الجاويش بولهاوس فسأله المفتش :

ـ هل ظفرت بجديد ؟

فاجاب الجاويش :

ـ كل ما استطاع ان يراه من الرجل القابض على عنقه هو اسفل وجهه اذ كان يغطي رأسه بقبعة رخوة اسدل حافتها العريضة على جبينه وعينيه فحجبت الكثير من معالمه ..

وكان يوشك ان يفقد صوابه بسبب الضغط الشديد على عنقه عندما سمع صرخة السيدة مولي بالباب .. معتبرا

يرجح انها كانت مقبلة لتدخل الحجرة ففوجئت بهذا المشهد .

واعقب الصرخة ان تركت اليدان عنقه .. ثم سمع دوى الطلق النارى .. ووقع قدمى الجانى يعدو متجها نحو السلم الخلفى .

تلك هى معلوماته : وقد حاولت ان اظفر منه بمزيد فلم اوفق وهو بطبيعة الحال لا يعرف الجانى ولم تقع انظاره عليه من قبل .

فقال المفتش موجها حديثه لوالاس :

ـ حسبنا هذا الآن .. وارجو ان تخطرنا يا مستر والاس بمجرد استرداد العم تيموتي لقواه حتى نعيد سؤاله فهو الوحيد الذى راى القاتل .. وسيكون لمعلوماته كل الاهمية فى هذه القضية الغامضة .

وفيما كان والاس يهم بالانصراف قرع باب الحجرة فاتجهت الانظار اليه ولم يلبث ان فتح ودخل منه أحد رجال الشرطة ممسكا بمستر أيرا بنيت من ذراعه ودفعه امامه نحو المكتب وهو يقول :

ـ وجدت هذا الرجل يا سيدى المفتش يعبث بباب المطبخ .

فقال لوبين متداخلا :

ـ هذا هو مستر ايرا .. ايرا بنيت ..

واسرع ايرا يقول :

ـ الا تخبر هذا الشرطى يا مستر لوبين اننى ..

فقاطعه المفتش :

ـ حسنا .. ودعه الآن يا ماك .. لقد احسنت صنعا عندما قبضت عليه متلصصا بالباب ثم التفت الى والاس وقال :

— لم نعد بحاجة اليك يا مستر والاس ..
وخرج والاس وهو يرمق اخاه بنظـــرات نارية .. وما ان
اغلق الباب خلفه التفت المفتش داندى الى ايرا وقال له :
— والآن .. ماذا لديك .. ؟
فاخذ الرجل ينقل بصره بين المفتش ومســاعده ولوبين ،
ثم قال فى صوت بين المفتش ومساعده ولوبين ، ثم قال
فى صوت متلعثم يغشاه شيء واضح من القلق :
— هل حدث .. شيء .. ؟
فقال له لوبين على الفور :
— بدلا من أن توجه لنا الأسئلة عليك ان تخبــرنا عن
سبب وجودك بباب المطبخ الخلفى بدلا من قـدومك من
البـــاب الأمامى .
واحمر وجه ايرا خجلا ثم قال مترددا :
— اوه .. حقا .. كان على ان اوضح ذلك من البداية .
لقد اتصل بى جاربو .. خادم مستر والاس .. تليفـــونيا
منذ قليل وطلب الى فى الوقت نفســه ان ادخل عن طريق
الباب الخلفى ووعد بان يتركه مفتوحا حتى اتمكـــن من
الدخول الى المنزل بغير علم اخى والاس ..
فساله المفتش داندى :
— ولأى شيء يريد مقابلتك ؟
فهز ايرا كتفيه وقال :
— لست ادرى ، فان جاربو لم يوضح لى الغرض من
الزيارة مكتفيا بانها لشيء هام ولم ار من جانبى ان ارهقه
بالأسئلـــة ..
وساله لوبين :
— وهل لم تصلك رسالتى ؟ .
فاتسعت حدقتا ايرا بنيت وعاد القلق يغشي وجهه مرة

اخرى فاجاب على الفور فى صوت متلعثم بادى الاضطراب :
— كلا . ولكن هل حدث شيء .. ولمــاذا كل هـــذا
السيل من الأسئلة المرهقة ؟
فقال له المفتش داندى :
— ان كان يهمك ان تعرف ما حدث .. فقـــد وقعت
جريمة فى هذا المنزل منذ قليل .. واعنى بجريمـــة ..
جريمـــة قتل ..
وهب ايرا بنيت واقفا وصاح فزعا :
— ماذا .. هل قتل العم تيموثى .. هل انحدروا فى
شرورهم الى هذا الدرك .. لقد كنت اخشي ذلك ..
فصاح به المفتش داندى :
— هدىء من روعك . فالعم تيموثى ما يزال على قيـد
الحياة .. على الرغم من محاولة الاعتداء التى وقعت عليه
ولكن التى قتلت هى السيدة بوللى قرينة اخيك ..
وظل ايرا واقفا فى مكانه مشدوها ، وكان وقع الخبر
عليه واضحا حتى ان لوبين حدث نفسه بانه اذا اتضح فى
المستقبل ان ايرا هو القاتل فلا شك فى قدرته الفائقـــة
على التمثيل والتكلف ..
واستانف المفتش داندى يقول :
— والآن تقول ان الخادم جاربو قد استدعاك لتقابل عمك
واشار عليك بالدخول من باب المطبخ المؤدى الى الســـلم
الخلفى .. وهذا هو الطريق الذى سلكه الجانى فى فراره .
فهل قابلت احدا اثنـــاء قدومك ؟
فهز ايرا راســه سلبا وقال :
— كلا .. لم اقابل احدا ..
وهنا نهض لوبين مستاذنا لبضع دقائق ريثمـــا يتم
المفتش داندى استجواب ايرا بنيت ..

وغادر لوبين حجرة المكتبة ثم انثنى فى الممر المؤدى الى الدهليز واذا به يرى الخادم جاربو منحنيـا امام باب حجرة العم تيمولى ينظر متلصصا من ثقب المفتاح وقد وضع بجواره على الارض (صينية) متوسطة الحجم تحوى طعاما خفيفا وقدحا من القهوة ..

واقترب منه لوبين فى هـدوء وقد حال البسـاط السميك الذى كسيت به ارض الدهليز دون سماع وقع اقدامه ، حتى اذا قاربه قال له همسـا :

– ان الطعام يكـاد يبرد ..

وهب الخادم فزعا ثم احمر وجهه خجلا لضبطه فى هذا الوضع الشائن وقال متلعثما :

– معذرة يا سيدى .. كنت اود ان اتاكد من ان مستر تيمولى مستيقظ قبل ان اقرع باب حجرته حتى لا ازعجه

وقاطعه لوبين قائلا :

– بالتأكيد . بالتأكيد . فليس من سبب آخر يدعو خادما مخلصا مثلك لأن يقف هذا الموقف السيء ..

ثم خطا نحو الباب ، وانحنى فتطلع من ثقب المفتـاح بمثل ما كان يفعل الخادم : وانتصب واقفا بعد ذلك وقال فى صوت خافت :

– ولكن من المؤسف ان الانسان لا يستطيع ان يرى الفراش من ثقب المفتاح لانه منحـرف عن خط الرؤية .. وغاية ما تستطيع ان تراه هو مقعده وجانب من النافذة .

فاجاب الخادم على الفور :

اجل يا سيدى .. لقد اتضح لى ذلك ..

وضحك لوبين متهكما بينما اخذ الخادم يتكلف السعال وبدا عليه انه يوشك ان يتكلم ثانية ، ولكنه عاد وعـدل عن

رايه .. ثم حمل (الصينية) ووقف مترددا امام الباب بعض الوقت ، ثم طرقه طرقة خفيفة ..

وانبعث من الحجرة صـوت متعب يقول فى نبرات مجهـدة :

– ادخل ..

وفتح الخادم جاربو الباب ودخل الى الحجرة بما يحمل وانتهز لوبين الفرصة ليلقى نظرة عابرة عليهـا ، فراى العم تيمولى ممددا فى فراشه وقد اتكا على الوسائد .. ثم اغلق البـاب .

وانتظر لوبين حتى وضع الخادم طعام الافطـار امام العجوز وخرج من الغرفة واغلق الباب خلفه وهنا مال لوبين الى العجوز كما لو كان يدلى له بسر :

– لقد شاهدت جاربو يتجسس عليك من ثقب البـاب يا مستر تيمولى ..

فهتف العجوز :

– ماذا .. ؟

بينما استأنف لوبين :

– اجل شاهدته بنفسى . منذ بضع دقائق

ولم ينتظر لوبين ليسمع جوابا من العجـوز ، بل ترك الحجرة واغلق الباب كما كان وانطلق الى حجرة المكتبـة حيث كان التحقيق ما يزال مستمرا .

وراى ايرا بنيت جالسا فى مكانه والعـرق يتصبب من جبينه فى غزارة والمفتش داندى ومساعده الجـاويش بولهاوس يرهقانه بالأسئلـة .

وما ان دخل لوبين حتى سمع المفتش داندى يسأله :

– والآن ما هى مشتملات وصية العم تيمولى .. ؟

– لست ادرك .. لم ارها مطلقا .. وغاية ما اعرفـه

انه عندما كان في ضيافتي اثناء الشهر الأول من وصوله ذكر لنا مرة — وكان اخي والاس حاضرا — انه اعد وصيته وترك لنا فيها كل ثروته مناصفة ..

— وهل عدل شيئا فيها بعد ذلك .. ؟

— لست ادري بالمثل .. وهذا ما كنت اخشاه ..

فسأله الجاويش بولهاوس :

— عندما سمعت بحدوث جريمة قتل كان اول ما استفسرت عنه ماذا كان عمك هو القتيل ، فهل كنت تتوقع شيئا من ذلك .. ؟

فتريث ايرا قليلا قبل ان يجيب :

— في الحقيقة .. لم اتصور في يوم من الأيام ان يقدم والاس على قتل العم تيموثي ليتعجل الارث ، ولكن عندما سمعت بوقوع جريمة خفت أن يكون قد سلك هذا السبيل فالمال يا سيدي مؤثر قوى .. وقوى الشر الرهيبة لاحد لعبثها بالانسان .

ثم التفت الى لوبين وقال :

— لقد اخبرتهما بكل ما اعلمه يا مستر لوبين .. اجل لقد افضيت اليهما بكل شيء عندي .. وبالحقيقة كاملة . .

فقال له لوبين :

— لقد اصبت في ذلك .. فنحن الآن نواجه جريمة قتل والشكوك تحوم حول كل فرد من الموجودين في هذا المنزل او من لهم صلة به ، وضغط المفتش داندي زر الجرس فاقبل شرطي ، وقال له :

— اصحب مستر ايرا بنيت الى حجرة المكتبة وانتظر هناك مع الباقين ، والآن نريد ان نسمع اقوال الخدم ولنبدأ بالطاهية .

ثم تدارك وقال :

— لا تحضر الآن حتى ادعوك مرة اخرى .

ولما خرج الشرطي يصحب ايرا قال المفتش داندي موجها الحديث الى مساعده ولوبين :

— اريد قبل ان نسمع اقوالهم ان نستعرض القضية قليلا ونتبين حقيقة موقفنا للآن .. فقال لوبين على الفور :

— ان محور القضية يتوقف على امر واحد .

— وما هو .. ؟

— من المقصود بالقتل .. اهي السيدة مولى بنيت زوجة والاس مباشرة .. أم العم تيموثي ؟ وفي الحالة الثانية يكون مصرع مولي جاء أمرا عارضا اضطر الجاني للاقدام عليه عندما فاجأته وهو يحاول الفتك بالكهل .. يجب ان نتبين هذه الحقيقة لانها ستكشف عن الدافع الى ارتكاب الجريمة وبالتالي توجهنا الى المجرم الحقيقي ..

فقال المفتش :

— اصبت يا مستر لوبين .. والشواهد تدل على ان المقصود بالقتل هو العم تيموثي لأن الجاني بدا به كما يستدل من اقواله هو ..

فقال الجاويش بولهاوس :

— اذا استقر الرأي بنا على ذلك فمن الذي يفيد من قتل الكهل .. ابنا شقيقه ايرا ووالاس بطبيعة الحال .

فقال لوبين :

— هذا ما يتبادر الى الذهن لأول وهلة .. ولكن قد تكون هنالك عوامل أخرى لها اهميتها ..

فسأله المفتش : مثال ذلك ؟ ..

فقال لوبين :

— مثال ذلك انني رأيت الخادم جاربو منذ دقائق يتجسس

على العم تيمولي من ثقب المفتاح ولما فاجأته اخذ يتلمس اعذارا عرجاء .

فقال المفتش :

- يخيل الى ان هذا الخادم ذا الوجه الجامد يعرف الكثير من خبايا البيت وسارهقه بالاسئلة حتى يدلى بكل ما عنده .

فضغط الجرس وامر الشرطى ان يحضر الطاهية .. وما ان دخلت امامهم وجلست حتى سألها : هل التحقت بخدمة آل بنيت من مدة بعيدة ؟ ..

فاجابت وهى تبتسم : ابلغ من العمر ثلاثين عاما ..

فالتفت المفتش دهشا وقال لها فى حدة .. ما سألتك عن عمرك .. اجيبى عن سؤالى ! فتابعت تقول وهى تبتسم كلا .. لم أر شيئا ..

وسادت الدهشة بين الرجال الثلاثة ولكنهم لم يلبثوا ان تبينوا الحقيقة ، فالطاهية صماء وكانت تجيب عن اسئلة خيل اليها ان المفتش داندى وجهها اليها . ومن ثم اخذ الجاويش بولهاوس يقوم بمهمة اسماعها الاسئلة صياحا فى اذنها .

وتتلخص اقوالها فى انها كانت فى المطبخ وكان الخادم جاربو جالسا معها واذا به يهب واقفا فجأة ويندفع خارجا من المطبخ .

فادركت ان فى الامر شيئا واسرعت فى اثره الى الدور الثانى حيث وجدا جثة السيدة ممددة فى الدهليز وبجوارها الباقون ..

ولم يحاول المفتش ان يستخلص منها شيئا يتعلق بدخائل الاسرة اذ ان صممها لم يتح لها بطبيعة الحال الفرصة التى كانت تتمتع بها الخادمة ..

وبعد ان امر المفتش بصرفها قال لوبين : ارى انه قد تجمعت لدينا شبهات كثيرة وقرائن تتعلق بوالاس بنيت وزوجته ، فماذا لو استدعيناه ثانية لنجسم هذه الشبهات ؟

ولم يجب لوبين مباشرة بل تريث قليلا ثم قال : افضل لو بدأت بالخادم جاربو ..

- كلا .. سنبدأ بوالاس وادع جاربو للآخر لأننى اريد ان اعصره عصرا حتى يفضى بكل ما لديه .

وامر المفتش داندى باستدعاء والاس ولما اقبل وجلس بدأ المفتش حديثه قائلا :

- لقد عرضت لنا بعض مسائل اردنا ان نستوضحك اياها ..

- تفضل ياسيدى المفتش ..

فاطرق داندى قليلا ثم قال له : لقد سألتك عن وصية عمك ؟

فاجاب والاس على الفور : ولقد اجبت بأننى لم ارها ولا اعرف عنها اكثر مما قلته ..

- ووصية زوجتك .. ؟

وكان للسؤال المفاجىء وقعه الشديد فى نفس والاس اذ ظل يتطلع الى المفتش فترة غير قصيرة وقد فغر فاه دهشة ثم قال : وصية زوجتى ؟ وهل لها وصية ؟

فقال له المفتش ببساطة : هذا ما اسألك عنه ..

واسترد والاس روعه ثم اجاب : كلا .. لست اعلم شيئا من هذا القبيل

واطرق برأسه قليلا ثم استأنف : يبدو لى انه من الحكمة ان اوضح لكم شيئا من الامور الخاصة بى ، وحقيقة موقفى من زوجتى .. فالافضل ان تسمعوا الحقيقة منى بدلا من ان تسمعوها بشراء مشوهة من غيرى .

كانت زوجتي لا تملك شيئا عندما اقترنت بها ، وعندما حلت بي الضائقة المالية المعروفة – ولا شك في انكم علمتم بها من اخي ابرا على الأقل فهو اناني بطبعه – اقول عندما حلت بي هذه الضائقة كنت قد احتطت الامر من قبل وتنازلت عن جميع ممتلكاتي لزوجتي بيعا صوريا لانقذها من الدائنين ، وانتهزت الزوجة (المخلصة) هذه الفرصة وشرعت تتصرف في هذه الممتلكات بنفسهـــا ودون علمي وتودع ثمنها حسابها الخاص في المصرف ..

فقال لوبين : امر مؤسف حقـــا ..

– ليت هذا فحسب يا سيدي ، ولن يضيـــرني ان تبقي الممتلكات كما هي ام تحول الى نقود ، كما انه لم يضر لي ان تودع باسمها في البنك لأن دائني كانوا وما زالوا يتقون لي بالمرصاد ، ولكن امرين حزا في نفسي كثيرا .. اولهمـــا اقدامها على هذا التصرف من تلقاء نفســها ودون الرجوع الى لمشورتي .. وثانيهما وهو الأهم .. انها اخذت تسيطر على هذه النقود سيطرة شاذة ، فجعلت تنفق منهـــا على شئون المنزل ومستلزمات المعيشة فحسب دون ان تفكر في اعطائي شيئا بالمرة وهي تعلم انها اموالي .

اجل رفضت ان تعطيني شيئا او تعينني على ابتداء عمل جديد اكون منه مركزا في المجتمع بعد الذي فقدتـــه بسببها ، ولم ترفض فحسب بل راحت تؤكد لي انني لن احصل على هذه الأموال ثانية بأية حال من الاحـوال .. سواء أماتت أم بقيت على قيد الحياة .. وسواء ان طلقتهـــا وانفصلنا أم ظلت معي .

– وما سبب هذا الشقاء ؟

– بسبب تصرفها هذا نحوي الذي برهنت به على عدم اخلاصهـــا .

– وماذا تقول ايضا يا سيدي المفتش ؟ ..

فقال المفتش داندي : انى اتسال فقط .. الا يكون للآنسة جريس كورت مثلا علاقة برغبتك في الانفصـــال عن زوجتك ؟

– فاحمر وجه والاس خجلا ، وقال :

– ام اكن متحاملا عندما قلت ان اخي ابرا حقود .. واراه قد افضى اليكم باكثر مما كنتم تطلبون . لست انكر انني معجب بجريس كورت كل الاعجاب ، ولكنني كنت اود ان اطلق شقيقتها على كل حال . ولم يكن لاعجابي بها اى اثر في قراري هـــذا .

– فسأله لوبين :

– لقد سمعت عنك تيموتي يصف الرجل الذى حاول ان يقضي عليه خنقا .. اليس كذلك .. ؟

– اجل . !

– الا تعرف شخصا تنطبق عليه هذه الأوصـــاف او ما يقرب منهـــا . ؟

– كلا ..

فسأله المفتش داندى : اواثق انت بذلك ؟

– كل الثقة يا سيدى ، فلست اعرف احدا تنطبق عليه هذه الأوصاف ..

ووصل الى اسماعهم صوت جرس البـــاب الخـارجي يدق ، وقال المفتش داندى متحسرا :

– كفى يامستر والاس ، يمكنك ان تنصرف ..

وما ان غادر والاس بنيت الحجرة حتى قال بولباوس :

– اعتقد ان هذا الرجل مذنب و ..

وتوقف عن اتمام عبارته فجاة اذ وصل الى اسماعهـم صوت طلق نارى صادر من الطابق الأسفل .

وقبل ان ينهضوا من اماكنهم انطفئت انوار الحجرة فجأة وساد الظلام الدامس فيها ..

واخذ الرجال الثلاثة يتعثرون فى قطع الاثاث تارة واحدهم فى الآخر تارة اخرى ، وهم يتدافعون للخروج . وكان لوبين اسبقهم الى الباب ففتحه وخرج الى الدهليز واذا بالظلام يغمر البيت كله .

وسار يتحسس طريقه مسرعا وخلفه المفتش داندى ومساعده بولهاوس وهما يصخبان ويلعنان . وعندما بلغ لوبين السلم سمع وقع خطوات تسبقه على الدرج متجهة الى اسفل ؛ ولكنه لم يستطع ان يميز شيئا حتى وصل الى انحناء فى السلم فرأى باب المدخل مفتوحا وقد دخل منه شعاع ضعيف منبعث من الطريق ؛ وفى ضوء هذا الشعاع وقف شبح رجل بالباب يواجه السلم مباشرة .

واضاء المفتش داندى مصباحه الكهربائى ؛ وكان يسير فى اعقاب لوبين ، فالقى شعاعا ناصعا على وجه الرجل الذى لم يكن سوى ايرا بنيت .

واطبق ايرا عينيه ليتحاشى الضوء المسلط على وجهه ثم عاد ففتحهما وهو يشير بيده الى شىء امامه على الأرض

وحول المفتش داندى ضوء المصباح الى حيث اشار ايرا واذا به يرى الخادم جاربو ملقى على وجهه والدماء تنزف من ثقب رصاصة فى مؤخرة رأسه .

وأن لوبين انينا خافتا على ألم عميق بينما كان بولهاوس ما يزال يتعثر وهو يتحسس طريقه على السلم متجها نحوهم وفى اعقابه والاس بنيت .

ثم سمع الجميع صوت جريس كورت يرتفع فى الطابق الاعلى وتقول فى صوت يغشاه الفزع وتهبط بدورها لاحقة بهم

ـ ماذا حدث .. والاس .. ماذا حدث ؟

فصاح المفتش داندى :

ـ اين المفتاح العمومى للكهرباء !

فرد والاس بنيت :

ـ اسفل السلم خلف باب القبو .. ولكن ماذا حدث ؟

ووثب بولهاوس متجها نحو باب القبو يبحث عن مفتاح الكهرباء .. وفى الوقت نفسه صاح لوبين صيحة عجيبة لم يدر شيئا تماما لابد ان يدركه . ودفع والاس بنيت جانبا وقفز الى السلم واخذ يرتقى درجاته فى سرعة فائقة . ومرق فى طريقه بجوار جريس كورت غير مكترث لصرخة الخوف والفزع التى ارسلتها .

وما وصل الى نهاية السلم سمع طلقة آخرى تنبعث من أقصى الممر فاسرع الى حجرة تيموثى بنيت العجوز واندفع داخلا .. وما ان مر من الباب حتى انهال عليه جسم صلب وصدم رأسه فوق اذنه اليمنى ففقد توازنه وسقط جاثيا على ركبتيه ، ثم سمع شيئا آخر يصطدم بالارض ويتدحرج خارج الباب ..

وسطعت الانوار فى الحجرة فجأة ..

وتلفت لوبين حوله فاذا به يرى العم تيموثى بنيت مستلقيا على ظهره مغمض العينين والدماء تنزف من جرح رصاصة فى ذراعه اليسرى وقد تمزقت سترة منامته .

ووقف لوبين رافعا يده الى رأسه يتحسس موضع الضربة التى اصابته واخذ ينقل أنظاره بين الجريح الممدد على ارض الحجرة وبين مسدس من النوع الاتوماتيكى ملقى فى الدهليز خارج الحجرة ..

ووصل فى تلك اللحظة المفتش داندى يتبعه الجميع وهو يصيح قائلا :

ـ لقد وجدنا باب المطبخ مفتوحا على مصراعيه .. ان

المجرمين يدخلون ويخرجون وكأنما ليس في المنزل أحد ،
ووقعت نظرات المفتش على العم تيموتي فأسف يقول في صوت ممزوج بغضبه الجرح :
— يا الهي .. بعد هذه اخيرا .. تحت انظارنا ..!
ولكن لوبين لم يأبه للفزع الذي كان مرتسما على وجوه الجميع وتقدم من العم تيموتي وقال له :
— هيا انهض أيها المجرم .. قم واجلس على المقعد وسأحاول أن أقف هذا النزيف ريثما يصل الطبيب .
ولكن الرجل لم يتحرك وظل ساكنا بينما تعالت أصوات الدهشة والعجب من الموجودين . واستأنف لوبين يقول موجها حديثه للعم تيموتي :
— قم أيها السفاح وحدثنا بما رآه الخادم جاربو عندما كان يتجسس عليك من ثقب المفتاح .
والتزم العم تيموتي الصمت والسكون بينما استمر لوبين موضحا :
— لقد قتل الخادم جاربو .. لانني اخبرته بانه كان يراقبه من ثقب المفتاح ..
ومع ذلك فالناظر من ثقب المفتاح لا يرى غير هذا المقعد والجانب الايسر من النافذة ..
وتقدم لوبين فقلب المقعد واخذ يفحصه بدقة ولما لم يجد فيه ما يستلفت النظر او يثير الريبة اتجه نحو النافذة ، ومد يده قائلا :
— أعطني المصباح الكهربائي ..
وناوله المفتش داندي المصباح ، ففتح النافذة ومال الى الخارج واخذ يستعين بالمصباح على فحصها . وما هي الا لحظة حتى هتف هتاف الظفر ومد يده الاخرى واخذ يعالج أحد قوالب الطوب الموضوعة أسفل حائط النافذة ولم يلبث

ان رفعه من مكانه واخرجه ووضعه على حافة النافذة .
ثم دعا المفتش داندي ليرى الفجوة التي انكشفت في الجدار تحت القالب ثم شرع يخرج محتوياتها ..
وكانت الفجوة تحوي كيسا من الجلد لمسدس وصندوقا للرصاص ممتلئا حتى نصفه ثم ظرفا غير مقفل ..
واستدار لوبين يواجه الآخرين وهو يحمل هذه الاشياء .
واقبلت جريس كورت في تلك اللحظة المحطة تحمل وعاء به ماء وبعض الاربطة ثم جثت بجوار العم تيموتي تضمد جرحه ..
ووضع لوبين الاشياء على المنضدة وفض الظرف فوجد به ورقتين كبيرتي الحجم ملئتا بكتابة دقيقة بالقلم الرصاص ، وشرع يقرأ ما في الورقتين في هدوء حتى اذا ما اتى عليهما انفجر ضاحكا ثم قال :
— الا تسمعون وصية العم تيموتي .. سأتلوها عليكم في صوت مرتفع :
« انا .. تيموثي كيران بنيت ، أقرر ان هذه هي آخر وصية لي حررتها بمحض رغبتي وانا متمتع بكامل قواي العقلية والبدنية .
اني لاترك بمحض اختياري لابني أخي ابرا بنيت و[illegible] بنيت كل ممتلكاتي في هذا العالم بما في ذلك جثتي والملابس التي ارتديها ، وذلك اتفاقا مني بالعطف الذي حبواني به ولحسن ما افتقدتها طوال سنواتي الاخيرة .
كما اطلب ان تقسم بينهما — بالتساوي — مصاريف جنازتي وهي آخر ما أرهقتهما به من المصاريف .
— كما تقسم بينهما — بالتساوي أيضا — مرارة الذكريات الآتية :
اولا : اعتقادهما انني قضيت خمسة عشر عاما في استراليا

اجمع لهما خلالها ثروة طائلة فى حين كنت امضى هذه المدة فى سجن سنغ سنغ نفاذا لحكم صدر على لاشتراكى فى احدى الجرائم ..

ثانيا : اعتقادهما باننى عدت من اســـتراليا احمل ثروة عظيمة وان تقتيرى وشحى دفعانى للابقاء على ثروتى محفوظة وعدم تفريطى فى نفقاتى طوال هذه الاعوام . فكانا يعطيانى كل ما اطلب وينفقان على بسخاء بل وكانا يتنافسان في ذلك ويتسابقان اليها .. ظنا منهما ان فى ثروتى الطائلة المحفوظة ما سيعوضهما عما انفقاه اسخى تعويض ..

ثالثا : ولن يدرك ابنا الاخ العزيزان اى لذة كنت اشعر بها طوال هذه الاعوام وانا اسخر منهما واضحك فى نفسى لغبثهما وطمعهما .

التوقيع ...

ورفع لوبين راسه ليقول :

ـ والوصية غير مؤرخة .. ولكنها موقع عليهـــا باسم تيموثى كيران بنيت .. ولم تؤرخ بطبيعة الحال لان العم تيموثى لا يدرى متى يموت ..

واصطبغ وجه ايرا بنيت بحمرة الغضب بينما كان والاس ينتفض فى مكانه وقد شحب وجهه اذ رأى آماله تنهار مرة واحدة ..

وتوقفت جريس كورت عن تضميد ذراع العـــم تيموثى وودت لو انقضت عليه تخنقه ..

وفتح الكهل عينيه وهب جالسا فى مكانه واخذ يقلب انظاره بين المحيطين به ثم انفجر ضاحكا ..

ولم تكن ضحكات جنونية ، بل ضحكات رجل عاقل صادرة من اعماق القلب ..

وتوقف عن الضحك فجأة عندما وقعت انظاره على لوبين الذى قال له :

ـ حسنا .. والآن وقد انتهيت من مرحك ، دعنا نتحدث عن جرائم القتل التى خضبت يديك بها ..

فقال له الكهل بأصرار :

ـ لست اعلم شيئا عنها . ولقد سبق ان اخبرتك وكذا هذا الجاويش بكل ما اعلمه عن الجريمة الاولى .. واما هذه فلا تعتبر قتلا .. لاننى جرحت فحسب ولم يتمكن القاتل .

فصاح به والاس مقاطعا وهو يصر على اسنانه من شدة الغيظ :

ـ كذب .. لقد قتلت مولى .. لقد كنت فى حجرة جريس وقت ان سمعنا صوت الطلق واسرعنا خارجين الى الدهليز فاذا بمولى تسقط خارج حجرتك التى لم يخرج منها احد بعد ذلك .. فاى قاتل هذا الذى تريد ان توهمنـــا بانه كان موجودا ..!

فقال المفتش داندى :

ـ لقد اخفى والاس هذه الشهادة عنا للآن حتى لا يكشف عن وجوده فى حجرة جريس وقتئذ وهى تكفى لادانته ..

فاجاب الكهل مقرا :

ـ حسنا .. اقر بان مولى اصيبت بطلقة من مســدسى ولكنه حادث عارض . لقد اخبرونى ان شـــخصا قدم من استراليا يريد مقابلتى لامر مهم يتعلق بممتلكاتى هناك .. وكما تعلمون ليست لى ممتلكات فى استراليا ، بل ولم اذهب اليها مطلقا .. فادركت للتو ان فى الامر شيئا .

وابتسم الكهل قليلا ثم استأنف :

ـ ما كنت ادرى ان احد الاخوين بدأ يساوره الشك فى

امرى فشرع يدبر هذه الحيلة .. ولكنى كنت واثقا في الوقت نفسه بانه لم يكن والاس هو الذى دبر هذه الحيلة فانه لن يدع الفرصة تمر منه دون ان يحصل من القادم على اكبر قسط من المعلومات عن ثروتى .

ولو تم ذلك لفقدت احد المنزلين اللذين كنت استعملهما كفندق بالمجان ..

لذلك رايت ان ادبر الامر مقدما واوعزت الى جاربو ان يتصل بايرا فورا ويستقدمه كي اذهب معه الى منزله اذا ما تطورت الحال هنا ولم تنته قصة الزائر الاسترالى القادم بخير

هكذا كان تدبيرى ، ولما كان ايرا مشوقا لعودتى لداره فلم يكن هناك اى مجال للقلق او الخوف .

ثم حدج تيموثى ابن اخيه والاس بنظرة تشف ، واردف :

ـ .. لقد كان يشك دائما فى انني معتوه وكان يخشى ان يبعثوا بى الى مستشفى الامراض العقلية قبل ان احرر وصية لصالحه . اذ لو فعلت ذلك لما امكن تعيينه مشرفا على تنفيذ الوصية لسابق اختلاسه وطرده من الشركة التجارية ، الامر الذى لا تقره اى محكمة فى البلاد خاصة وله اخ آخر ..

ثم حول نظره الى ايرا بثبت وقال :

ـ وايرا محام له مكانته المحترمة ، ولذا فكرت فى ان ادبر لعبة صغيرة .. كنت واثقا باننى لو تشاجرت والزائر الاسترالى فسوف يؤثر والاس ان يطرد الاسترالى من المنزل على ان يتركنى فى صياحى المتكلف الذى قد يتطور الى ما يدعو لنقلى لمستشفى الامراض العقلية ..

ووطدت العزم على ان اقوم بتمثيل هذا الدور وصادف ان دخلت مولى الحجرة تدعونى للنزول لمقابلة الزائر ، فنهضت من مكانى وتناولت المسدس واخذت اصيح فى غضب قائلا

بان اعدائى فى استراليا يتجسسون علي ويتآمرون على حياتى وهددت باننى سانزل لقتلك بهذا الزائر ..

واعتقدت مولى المسكينة اننى اعنى ذلك حقا فاضطربت ، وحاولت ان تنتزع المسدس من يدى ، ولم انتبه الا وقد انطلقت رصاصة منه اصابتها فى قلبها مباشرة فسقطت على الارض ..

ولم اجد من وسيلة سوى ان ابادر الى اخفاء المسدس واحداث تلك الاصابات فى عنقى وان اختلق قصة الرجل الضخم الذى حاول ان يقتلنى

ثم تطلع باحتقار الى والاس وقال :

ـ ولم اكن اتوقع طبعا ان يكون والاس فى حجرة جريس وانه سيتستر على جريمتى .. حرصا منه على ثروتى ايضا . اجل .. لم اكن اتوقع ان تنحدر به دناءته الى درجة التستر على قاتل زوجه مهما بلغت كراهيته لها .

ولكن المال ايها السادة .. !

فصاح لوبين مقاطعا :

ـ دعنا من هذه الخطابة .. وما قصة الخادم ؟ ..

فاجاب الكهل وهو يحدج لوبين بنظرات ثابتة :

ـ اى خادم ..؟ جاربو ..! لست ادرى شيئا عنه .

فقال لوبين :

ـ اذن سأوفر عليك هذا العناء .. وأتم القصة نيابة عنك .. لقد كان عليك ان تتخلص منه بسرعة قبل ان يقول شيئا .. قبل ان يفضى الى البوليس بما رآه من ثقب مفتاح الباب وانت تخفى مسدسك ..

ولذا فقد تسللت من السلم الخلفى وفتحت باب المطبخ لتوهمنا بان احدا قد فر منه ثم عدت الى باب المنزل الامامى

وضغط الجرس واسرعت فاختفيت تحت السلم ، حتى اذا ما اقبل جاربو ليفتح الباب للقادم أطلقت عليه النار فارديته ثم اطفأت نور المنزل كله واسرعت ترتقى الدرج مسرعا الى حجرتك ..

وهناك حاولت ان تكرر قصة الاعتداء عليك فاطلقت على نفسك طلقة اخرى عامدا ان تكون الطلقة فى الذراع .

وعندما تنبهت الى حيلتك ودهمتك فى حجرتك قبل ان تضع المسدس فى المخبأ المعهود لم تجد مناصا من أن تضربنى بقبضته على رأسى .. ثم القيت به فى الدهليز وارتميت على الارض متخلفا الاغماء ..

فقال العجوز وهو يلهث من فرط اضطرابه :

ـ انك ...

ولكن لوبين قاطعه قائلا :

ـ لا موجب للجدال .. لنفرض أن مولى قد قتلت قضاء وقدرا وان الطلق النارى خرج من مسدسك على الرغم منك أن تشعر ولكن الجريمة الثانية يا عزيزى لا سبيل الى الفرار منها ..

انه لمن السهولة بمكان ان اثبت بان الرصاصات المستعملة فى جميع الحالات واحدة سواء منها ما اصاب مولى أو جاربو او ذراعك .. بل وانها اطلقت جميعا من مسدس واحد .. هو هذا .. مسدسك ..

ولن يكون هناك فرق فى أى الجريمتين يمكن اثباتهـــا عليك .. فلن تشنق الا مرة واحدة يا عزيزى ..

ثم ابتسم فى سرور وقال :

ـ وسيفعلون ذلك .. يا عزيزى !

(تمت)